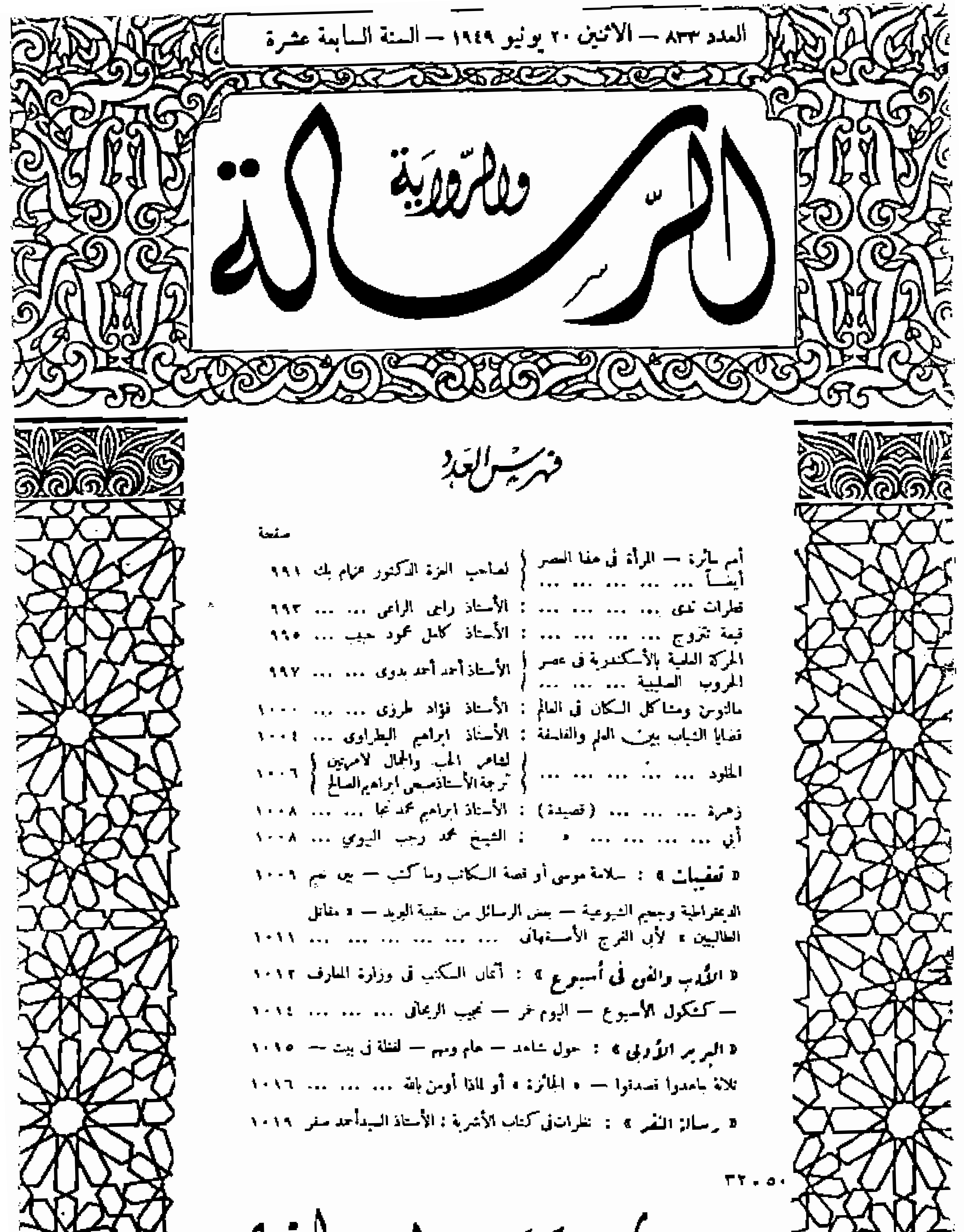


العدد ٨٣٣ — الاثنين ٢٠ يونيو ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣٢٠٥٠

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

17e Année No. 833 — Lundi — 20 — 6 — 1949

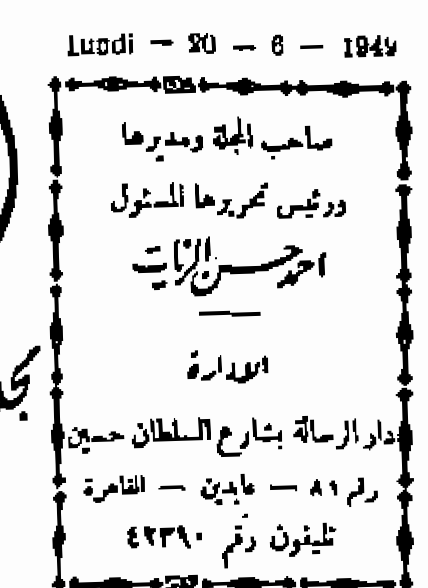
بدل الاشتراك عن سنة
مـ
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique


صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــــدد ٨٣٣ «القاهرة في يوم الاثنين ٢٣ شعبان سنة ١٣٦٨ — ٢٠ يونيو سنة ١٩٤٩» السنة السابعة عشرة

٨ ـ أمم حـــــائرة

المرأة في هذا العصر أيضاً

لصاحب العزة الدكتور عبد الوهاب عزام بك

وزير مصر المفوض بالمملكة السعودية

قال الفريق الأول: أتبغون المرأة حبيسة في دارها، منقطعة عن دنياها، محجوبة من الطرق والأسواق، ممنوعة من الأندية والجامع، محرومة من المسارح والملاهي؟ أتبغونها قعيدة بيت لا تعرف إلا ما حوته الجُدُر من دارها ودور جيرتها وأهلها؟ أكذلك تبغونها أيها الظالمون؟

فيقول الفريق الآخر: كلا كلا. لقد بينا قبلا مكانة المرأة من نفوسنا، وأعربنا عن إعظامنا بل تقديسنا إياها، ودعونا إلى أن تبلغ من العلم والخُلق الدرجات العُلى، وهي أعز علينا وأكرم من أن تُحبس أو تُحجب أو تُمنع أو تُحرم.

إننا نريدها أميرة دارها، ومالكة أسرتها، قوّامة على أولادها، في الدار عملها، وفيها جهادها، وفيها عبادتها، وفي الأسرة يتجلى علمها وأدبها. ثم لا حرج عليها بعد هذا أن تخرج إلى الأسواق، وتسير في الطرق، وتغشى الجامع؛ ولكن مسير السيدة الكريمة ربة الأسرة التي تخرج من دارها لشئونها ثم تسرع الأوبة إليها.

نريد أن تكون خارج دارها ملء الناظر إجلالا وإكباراً، وكرامة ومهابة، يُخسِيء العيون عنها تصونها وكبرياؤها، ويرد السفهاء استقامتها في طريقها، وجدُّها في سيرها.

كذلك نود أن تكون المرأة حيثما توجهت، وأينما سارت، ونود أن تحيطها البيئة بأدب يزيدها كرامة وعزة، وتلقاها بأخلاق تيسر لها السيرة الكريمة، والخطة الورعة، والمنزلة العالية. لا كما تعرفون في شوارعكم وأسواقكم ومجامعكم وملاهيكم، فنحن لا نخالفكم على الحرية، ولكن على الأخلاق والآداب والكرامة والصيانة.

وليس الذي ندعو إليه محالا ولا عسيراً. نحن لا نزال في أول الطريق ونخشى العاقبة التي ينتهي إليها هذا السير، والنهاية التي تؤدي إليها هذه البداية. وكم رأينا في بلاد شرقية وغربية المرأة الوسيمة المتجملة جادّة في طريقها، مستقيمة إلى وجهتها، توحي إلى كل من يراها الإجلال والإكرام والأدب والحياء. وكثيراً رأينا بعض هؤلاء عامدات إلى مسجد أو كنيسة معهن أولادهن، كأنما هن في معبد على الطريق إلى المعبد. فكذلك نريد النساء.

وعلى ذكر المساجد والكنائس نقول: هؤلاء الداعون والداعيات إلى ارتياد كل موطن، وغشيان كل مجمع، والمزاحمة في كل مضيق — لماذا لا يدعون إلى حق النساء في المساجد؟ لماذا لا يطالبن بأن يغشين المساجد مشاركات الرجال أو منفردات، ليصلين ويستمعن إلى المواعظ، بل ليعلّم بعضهن بعضاً من علوم

الدين والدنيا ؟ لماذا لا يُطالب بأن يكون للنساء مدرسة دينية لتخريج عالمات في الفقه والحديث والتفسير وآداب الدين ؟ لماذا تتوجه الدعوة وجهة واحدة ؟ ولماذا تُذكر الحقوق في جانب وتُنسى في جانب ؟ أليس الأمر محاكاة وتقليداً أو إيثاراً للدعاوى المدوّية .

هذا فصل القال بيننا وبينكم أيها المجادلون : تريدون خروج المرأة عن طبيعتها ، وهجرانها دارها ، وابتذالها في الأسواق والمجامع ؛ ونريد لها الحياة على طبيعتها ، والاعتصام بدارها ، والصيانة والكرامة في كل سبيل ، وكل مكان ، وعلى كل حال .

قال الفريق الأول : إن دعواكم ينقض بعضها بعضاً ، ويكذب آخرها أولها . تقولون لا نضيق على المرأة ولا نحجبها ولا نمنعها غشيان الجامع ، وتقولون إن عملها في دارها ، لا تخرجها منها إلا الضرورات ، وتحرمون عليها العمل في المصانع وتولى المناصب ، بل كل عمل خارج البيت ، وهذا التهاتر في أقوالكم هو صورة الاضطراب في أفكاركم ، وتزلزل الأدلة وراء دعاويكم .

ويقول الفريق الثاني : لو فقهتم ما قدمنا ، وبلغتم غور ما أسلفنا ، لم ترمونا بالتناقض في القول والاضطراب في الفكر .

إن الكلمة الجامعة في رأينا أن المرأة للدار ، والدار للمرأة ، فكل عمل ينأى بها عن الدار ، ويحرم الدار تدبيرها محرم عليها إلا ما اضطرتها إليه الضرورات ، والضرورة شر ينبغي دفعه ، وفساد في الجماعة يجب إصلاحه . وللمرأة أن تتولى كل عمل يلائمها ولا يقطعها عن أسرتها ، ولا يخل بشئون بيتها ، ولا يحرم أولادها تربيتها ورعايتها ، ولا يسلب زوجها إيناسها وإسعادها ، والأعمال التي على هذا الشرط كثيرة .

للنساء مجال فسيح في أعمال البر والرحمة من تربية الأيتام ، والقيام لهم مقام الآباء والأمهات بالشفقة والحنو ، والعمل لتعليمهم وتهذيبهم ، ومواساة الأسر الفقيرة وإنقاذها من العوز والمرض ، وإمدادها سراً بما يحفظ كرامتها ويصون سمعتها ، وإنشاء الملاجئ وما يتصل بها لصيانة الصبايا المشردات اللاتي لا يجدن من يأخذ بأيديهن في هذا المجتمع الآثم ومن يسمع شكواهن في هذا العيش الصاخب .

كل أولئك وأمور أخرى مثلها المرأة بها أولى ، وبدخائلها أدرى ، وهي أحسن قياماً عليها بالرأفة والشفقة واللين والرفق والحلم والصبر .

فلسنا ندفع المرأة عن هذه الأعمال وما أكثرها ، وما أعظم العمل فيها ، براً بالأمة وإحساناً إلى الجماعة . ويستطيع النساء أن يعملن هنا ما يعجز عنه الرجال عملاً دائباً في غير دعوى ولا جلبة ، ولا جدال ولا خصومة . ولكن كثيراً من نسائنا مولعات بالقال والقيل ، مغرمات بالبطولة والزعامة ، يؤثرن الأمور الصغيرة التي يثور فيها الخلاف ، ويشتد النزاع ، وتذكر الأسماء ، ويلتمس الصيت ، فراراً من الأمور الجدية الشاقة التي يقوم بها الدأب والصبر والصمت وجهاد الأفكار والأيدي لا الألسن والأقلام .

ورحم الله الغزالي ! كان يسمى المسائل التي يشتد فيها الجدل ويتمادى عليها النزاع « بالطبوليات » ، ويرى أن كثيراً من فقهائنا يؤثرون هذه الطبوليات الجوفاء على العلم النافع والعمل الصالح والجهاد الخالص لوجه الله .

فما أشد ولوع بعض نسائنا ورجالنا بالطبوليات ، يملأ بها الجو ضوضاء ، وتُشغل الأمة عما هو أجدى وأعظم وأولى بسعيها وجدها وإعدادها فيما تتصدى له من الخطوب ، وما يحيط بها من الحادثات ، وما تضطلع به من أمور الإصلاح الكبار ، وشئون التدبير الجسام .

(للكلام صلة) عبد الوهاب عزام

قطرات ندى

للأستاذ راجي الراعي

* ليس من السهل على من تزخر نفسه بالصور والأحاسيس أن يعرف ماذا يريد .

* كن الشين أو الزاي في مستذرزات ، ولا تكن الواو في عمرو . أقول كن كيف شئت ولا تكن كية مهملة .

* قلب الجبان سيف يعلوه الصدأ .

* المثابرة تتحدّى القدَر .

* الليل ثوب أسود يرتديه النور .

* كلما بكى الإنسان هدم حجراً من كبريائه .

* تتآخى الليالي وتتنادى ثم تندغم في ليل واحد كثيف تطلع بعده الشمس على ترابك !

* كلما مشيت على التراب هبت عليّ ريح قديمة .

* تكبّر ما شئت ولكن لا تنس أنك الحيوان الكبير .

* ما تزال الحكمة تائهة شاردة تفتش عن مكان لها في هذه الأرض تبني فيه بناءها !

* لو كنت جبلاً لهويت بقمتي الشامخة إلى السهل نكاية بالمتكبرين .

* العشاق والشعراء هم الذين طبلوا وزمروا للقمر فأحلوه المحل الرفيع .

* عجبت للأثير كيف لم يتكاثف حتى اليوم وفيه ما فيه من زفرات البشر .

* الحكمة كلها في رأس الميت فاذهب إليه واسأله أن يتلو عليك فصولها .

* إن (أبا الهول) في صمته المستديم ثائر على كل ثرثار .

* الجلاد والحطاب والجزار : هذا مثلث الموت !

* إذا أنك من الأحياء لحق بي موتاي فالى أين المفر ؟

* ماء الشجرة دمها تسكبه في الثمار .

* الأرض الدائرة أسطوانة تنشد مجد الشمس .

* الندم عاطفة شائكة .

* الشيب ما سجنته فيك الدهر فذوته الحقيقة في خيالك .

* تقضي العين حياتها بين جفنيها لا تدري أيهما تختار .

* العبقرية كتاب أبرز ما فيه صفحة القلق .

* ليت للأفلاك أجديتها فأعرف أين تبدأ وأين تنتهي .

* كنت أحسب الفجر محاماً فلما رأيت له وجهين الكاذب والصادق شككت فيه . . أفي الفجر كذب أيضاً ؟ أكذبه عدوى أتته من الدنيا ؟

* إذا حلت عليك النعمة حُلّ قيدك .

* إذا كانت الجبال شعراً تجسد معه الخيال وانقلب تماثيل فجبل (لبنان) بيت القصيد في الملحمة الجبلية .

* العمود عريان وقح .

* الصحراء جثة بحر مات .

* للقدر أختامه والعبقري هو الذي يفضها .

* يقيمون للأسد عرشاً ولكنهم ينسون أن أمانة الكلب تعدل شجاعة الأسد .

* اشمّ في الليل رائحة عراك وقد فازت الظلمة بالشمس .

* أغصان الشجرة هي اتجاهات روحها المصفدة بالتراب التواقة إلى الانعتاق .

* العين ملتقى الخطوط الصاعدة والمنحدرة والمنحرفة .

* كل موهبة حجر كريم في تاج الله .

* كم من خيال كثيف كالجدار وعقل يسيل كالماء وذاكرة لا أذن لها وقلب ضاق شريانه وقل ماؤه !

* الفناء شرط البقاء ، إن فناءك في الله هو الذي يبقيك . .

* النوم لجز الموت .

* أرقام الرجل الخيالي نجومه في جدول الأفق .

* رأيت الحياة الصفراء واللون السوداء والجنة الخضراء والجحيم الحمراء في حلم واحد يخفق في الفضاء ، حلم الموتى والأحياء

* بين دورة الزمن ودورة الأرض ودورة الفكر ودورة الدم دورة خامسة هي دورة الدائرة عليّ يوم الجد !

* ما أكثر وجوه الموت وألوانه ! الجنون عقل مات ... والقلب الذي لا يعرف الحب جثة في الصدر .. والبله شعلة الذكاء انطفأت .. والأعمى ميت يتأمل .. والأصم رجل توارى عن عن الدنيا .. والأبكم رجل ماتت فيه الكلمة .. والجاهل ميت سقط في ساحة العلم .. والحائر المتردد قتيل يسيل الدم من إرادته الجريحة .. وإن الطمع والجشع قتيل ترثيه الفلسفة والحكمة .. والعاقر قتيلة في ساحة الأمومة .. والشيخوخة موت الشباب .. والانتحار موت قبل الموت . والذليل الذي لا يرى لذاته بيتاً لنفسه في كل يوم لحداً .. والشاعر الحالم الطموح الذي تخذله الحياة وتهدم له عروش أحلامه هو الميت الأكبر الذي لا يعلوه ميت !

* الحياة برق خلب في أفق مبهم .

* الذهب يملأ السموات وما فيها ويبرق في النظامة والجمال ولكن الناس لا يرونه ولا يعرفونه إلا في مناجمه .

* لا أمل لي في الحياة إلا أن أوفق بين قصرها وطول أحلامي

* أسرح الطرف في هذه الطبيعة فلا أرى غير أمهات وأرحام : الأرض تلد الشجرة والشجرة تلد أوراقها ، والجبل يلد الينبوع والينبوع يلد الجدول .

* الخط المستقيم هو الذي جاء بكلمة الاستقامة في معجم الأخلاق .

* لو كنت بركاناً لابتلعت حمي ولم أطلقها عبثاً في الفضاء الذي لم يبق إلى تتيق في أحشائي ليصطلي بها موتاي .

* من حبل بالروائع ولم يستطع أن يلدها تألبت عليه أجنته السجينة وأخذت أنفاسه .

* كلما أطل علي الفجر جمعت شتيت نفسي التي بعثرها الأمس .

* الموس يشق بعمرانه النفس فيخرج لك ما فيها من قمح وزؤان .

* أحب الذهب إذا كان معدنه الجبين .

* أتموت جوعاً ؟ وسنابل القمح هذه التي تملأ الرحب ، لمن هي ؟؟؟

* لولا المدة القاهرة لما فكرت لحظة في المال .

* يقول لي سقراط : اعرف نفسك ولكنه لم يعطني كتابها لأقرأ هذا الذي يدعوني إلى معرفته ، ويقول غيره : ادخل إلى محراب نفسك ولكنه لم يهدني إلى الباب .

* لا تعجب لهذا الظالم العاتي فإن لنفسه ساحة احتلتها الشياطين فلم يبق فيها مكان للملاك !

* إن للموت هيكلا عظامه عظام القبور !

* أعجب ما في الخليقة هذه الأرض التي تنمو سنابل قمحها بين جماجم موتاها وتشع مناجم ذهبها بين لحيم أفاعيها وتندلع ألسنة نيرانها من قلبها الذي تنبجس منه الينابيع ...

راجي الراعي

صور من الحياة :

قبعـــة تتزوج

للأستاذ كامل محمود حبيب

أما قصة زواجك أنت — يا صاحب القبعة — فهى عجب من العجب ، قصة فيها سلوى للنفس وعظة للعقل ومتعة للقلب .

أتذكر يوم أن جئت ، أيها الفيلسوف ، من البلد الأجنبي — بعد أن نيّفت على الأربعين — وإن رأسك ليزدحم بالخواطر والخرافات ، وإن قلبك ليجيش بالآمال والأماني ، وإن فلسفتك لتحدث إليك بأمر .

ونظرت حواليك فتراءيت في عين نفسك عزباً تضطرب في الحياة وحيداً منبوذاً ، والأيام تنطوي في سرعة لتدفعك نحو الشيخوخة في غير هوادة ولا لين ، وأنت تفتقد العطف والحنان فلا تستشعر الهدوء في الدار ولا الاستقرار في العمل ، وإن وظيفتك لتدر عليك مايفيض على حاجات نفسك ورغبات قلبك ، وضقت بحياة القلق والاضطراب فعقدت النية على أن تتزوج .

وسيطرت عليك الفكرة فشغلت قلبك وعقلك ، واستولت على مشاعرك فأرّقت جفنيك وأزعجتك عن مرقدك ، وبدا عليك الوجوم والصمت لأنك انطويت على نفسك زماناً فتفقدت الأهل والصاحب والصديق فأغلق أمامك السبيل إلى الزوجة . ثم وجدت متنفساً حين جلست إلى زميل لك تحدثه حديثك وتقول : « إنني أشعر — دائماً — بالضياع والشقاء ، فالعزب رجل مقطوع الصلات مجذوذ العلائق ، يجد الهم والأسى في داره ، ويحس الضيق والملل في خلوته ، ويلبس الضنى والعذاب في وحدته ، تتراءى له — دائماً — أخيلة مفزعة تزعجه عن الدار ، وتصرفه عن العمل ، وتملأ ذهنه بالخرافات ، وتحطم أعصابه بالقلق ، لا تهدأ له خاطره ولا يقر له قرار ، وأنّى له الهدوء وهو يرى نفسه انزوى في ناحية من حجرة ، هملا بين ركام من الأدوات والأثاث والملابس . فإن أبق الخادم طار صوابه ، وتناثرت خواطره ، وتشعثت حاجاته ، رغم أنه يثق بأن الخادم رجل يسرق ماله ويستلبه من وقته ويزعجه من راحته ، وهو همٌ لا يدفع إلا بهم آخر . وإن مرض انحط في فراشه ليكون بقايا إنسان قذر تافه تنطوي الساعات وإن نفسه لتئن أنيناً رهيباً ، وإن قلبه ليبكي بكاء مراً . لهذا — ياصاحبي — فأنا أشعر — دائماً — بالضياع والشقاء » ...

وأطرق زميلك ساعة من زمان ثم قال : « لا بأس عليك ، ستجد في بيت فلان بك بغيتك وتحس راحة نفسك ، فهو رجل ذو مكانة وشأن وذو ثراء عريض ... وابنته فتاة في مقتبل العمر ونضارة الشباب ، تتألق بهاء وجمالا وتشع رونقاً وصفاء ، فيها جاذبية الأنثى وخفر العذراء ، لم يلوثها بهرج المدنية ، ولا دنسها زيف الحياة ، وهي قد تخرجت في الجامعة منذ قريب ... وأبوها — سعادة البك — فيه الحصافة والرأي ، وبينه وبيني صلات قربى ووشائج نسب ... وأنت — في رأيي — خير من يتقدم ليخطب ابنته ، فهو لا يطمع في مال ، ولا يسعى إلى جاه ، ولكنه يريد رجلا فيه الرزانة والعقل ، لأنه يخشى شباب الجيل ، وإن فيهم ميوعة وليناً ، وإن فيهم استهتاراً وضعفاً » ...

وتفتح قلبك — لأول مرة في الحياة — لحديث زميلك حين أحسست فيه النصيحة والإخلاص فقلت : « لا ضير ، ولكن مَنْ عسى أن يكون رائدي وأنا لا أستطيع أن أجد السبيل إليه وحدي ؟ »

فقال لك الزميل : « إن شئت رافقتك إليه » ..

وفي أمسية يوم من أيام الصيف انطلقت — يا صاحب القبعة — بصحبة زميلك إلى دار سعادة البك ، وجلستما إليه ساعة من زمان ، ثم خرج زميلك وحده ... خرج ليخلّفك إلى جوار البك ، وقد أنس كل منكما بصاحبه واطمأن إلى حديثه ، فسميت الفتاة عليك بعد أيام ، ثم خطبت إليك ...

وهدأت جائشة نفسك ، واستقرت أفكارك إلى شاطئ أمين ... ولكن ترى فيم كنت تفكر ؟ آه ... إن فلسفتك العفنة قد لصقت بك فلم تتركك ساعة واحدة في حياتك ... لقد خيل إليك أن سعادة البك رجل يستطيع أن يشبع نهم طمعك وأن يتمم قلة أنانيتك ، وأن ابنته فتاة تستطيع أن تمهد لك السبيل الوعر ، وتفتح أمامك الباب الموصد ، ثم تدفعك إلى

الهدف في سهولة ويسر ، وأنت من ورائها تندفع حتى تبلغ ، فتركت مسكنك القذر الوضيع ورحت تعد داراً أنيقة لتستقبل العروس المنتظرة ، ونبذت ملابسك القذرة الشعثة لتتأنق في الجديد الغالي ليروق مظهرك في ناظرى أهل الزوجة ، وتصنعت الرزانة والعقل لتخدعهم بثقافتك الفجة ، وتجملت بالرقة والذوق لتصرفهم عن خواطرك السقيمة ، وخرجت من عزلتك القاتلة لتكون رجلا لبس القبعة حيناً أو بعض حين .

وانطلى على سعادة البك ما تكلفت من قول ومن فعل فحباك بالثقة ، وخصك بالتقدير ، وقربك إلى قلبه ونفسه - واطمأنت الفتاة إليك ففتحت لك باب حجرتها لتجلس إليها في خلوة ، وتحدثها في غير رقبة .

واندفعت تزين للفتاة أن تصحبك إلى السينما وإلى المسرح وإلى النادى ، فما تمنعت ولا تأبت ، وهى لا ترى بأساً فى ما تفعل لأنك زوجها - وتماديت في غيك فأردت أن تحملها على أن تنزع عن نفسها تقاليد الأسرة ، وأن تمتهن تاريخها - وهو قد تدفق في عروقها منذ زمان - لترود معك الملاهى الوضيعة ، وإن كثيراً منها لينضم على فنون من الخلاعة والفجور ، ويحوى ألواناً من الخداع والإغراء ، فهي تثير فى الرجل الدوافع الحيوانية ، وتبذر فى المرأة غراس الثورة على الدار والزوج والأولاد ، وألقت الفتاة إليك السلم - بادئ الرأى - ثم استيقظت التقاليد فى عقلها فرفضت أن تندفع فى هذه الإباحة ، فرميتها أنت بالجمود والرجعية ، واحتقرتها لأنها تمسكت بالشرف وتشبثت بالكرامة .

لقد كنت تريدها على أن تندفع فى الغواية لحاجة فى نفسك .

وأرادت فلسفتك الثعلبية أن تمكر بالفتاة فتخدعها عن نفسها فتتعلم الرقص وتصاحب رفاقك وتتحدث إلى صحابك ، تأخذ منهم وتعطى ، ولكنها كانت قد جبلت على الحياء وطبعت على الخجل فرأت الطريق أمامها وعراً وبدت لها الغاية صعبة ، فتراجعت ..

وجلست إليها - ذات مرة - تخدعها عن نفسها وتغريها أن تصحبك لتزورا معاً دار فلان باشا ، وزعمت بأنه من ذوى قرابتك ، فانطلقتما معاً إلى داره مرات ومرات . واستقبلها الباشا - بادئ ذى بدء - فى احترام وحملها بالعطف وانهالت عليها منه الهدايا ، ثم راح يداعبها فى رقة ويمازحها فى ظرف ، وهى تطمئن إلى عطفه وتسكن إلى حديثه ، غير أنه ما لبث أن سقط عن وجهه قناع التصنع فانكشف عن ذئب مفترس فى مسلاخ إنسان ، وامتدت يد الباشا إلى الفتاة فذعرت ، وأوجست خيفة منه ثم أقبلت عليك تنفض أمامك ذات نفسها فأغضيت عن حديثها وامتهنت هواجس نفسها على حين أنك توقن بأن هذا الباشا شيخ داعر شرير لا يتورع عن نقيصة ولا يترفع عن دنيئة . وعزّ على الفتاة أن تلمس فيك هذا الخلق الواهى المتحلل فلاذت بعقلها واعتصمت بكريم منبتها ، ورفضت أن ترافقك - بعدها - إلى دار الباشا ، وأصررت أنت وأصرت هى ، ثم نزعت عنك إلى أبيها وفى قلبها أسى يتضرم وفى عينيها عبرات تترقرق .

وعجب البك أن يرى ابنته تنطوى عن زوجها وتهرب من لقياه ، وعلى وجهها أثر الحزن وفى عينيها أثر البكاء ، فجلس إليها يريد أن يهدئ من ثورتها وأن يمسح على أتراحها بقلبه الرفيق ، فأجهشت بالبكاء وهى تقص قصة زوجها الفيلسوف الذى لبس القبعة حيناً من الزمان وهو يدفعها إلى الهاوية مرة بعد مرة ثم يسوقها إلى دار الباشا الداعر لتنزل هناك عن كرامتها وتتخلى عن شرفها .

وثار البك لما سمع ثورة قذفت بالفيلسوف العبقرى ، صاحب القبعة ، إلى خارج الدار بعد أن سامه الاحتقار والمهانة ، قذفت به إلى خارج الدار لأنه حين لبس القبعة نبذ المعانى السامية للدين والوطن و ...

وأصابتنى الدهشة حين رأيتك - يا صاحب القبعة - تنصرف عن دار البك فلا تزورها وتنفر من زوجك فلا تلقاها ، فذهبتُ أستوضحك الأمر فزورت كلاماً يمتهن عقل الفتاة المصرية ويضع من قدرها ويحط من خطرها ، ويتهمها بالرجعية والجمود . فما انطلى على الزور ، وأنا أعرف أنك استنزفت كل ما ادخرت فى سنى حياتك لتهيء داراً أنيقة تستقبل فيها عروسك الجميلة ولتخلق من نفسك رجلاً أنيقاً جذاباً ولتغمر فتاتك بالهدايا الثمينة الغالية .

فعلت كل ذلك وأنت كز الجبلة شحيح الكف ضنين بالمال . فيا ليت شعرى هل حملت نفسك مالا تطيق لترضى سعادة البك ولتخدع الفتاة عن نفسها ؟

آه ، يا صاحب القبعة ، لقد خسرت مالك وشرفك لأنك رفضت أن تكون مصرياً يتمسك بالمعانى السامية للدين والوطن و .

كامل محمود حبيب

الحركة العلمية بالإسكندرية

في عصر الحروب الصليبية

للأستاذ أحمد أحمد بدوي

كانت الإسكندرية تلي القاهرة من حيث المكانة العلمية في ذلك الحين، حفلت بطائفة كبيرة من أعيان العلماء، في مواد الثقافة المختلفة، ودرس فيها كثير من رجال السنة، حتى في الوقت الذي كان مذهب أهل الشيعة سائداً فيها، وأنشئت فيها أول مدرسة في الديار المصرية كلها، وإليها رحل صلاح الدين لاستماع حديث رسول الله.

وقبل أن تنشأ المدارس بها، كان جامع العطارين منذ أنشأه أمير الجيوش بدر الجمالي سنة ٤٧٧ هـ معهد علم وينبوع ثقافة، وقد ظل يؤدي رسالته طول عصر الحروب الصليبية، ويساهم مساهمة جدية في نشر العرفان.

وتنوعت الدراسات في جامع العطارين؛ فهذا عمر بن عيسى السوسي نحوي أخذ عنه النحو أكثر أهل الإسكندرية؛ وكان يقرأ لهم فيه كتاب سيبويه وتوفي سنة ٤٩٨ هـ. وهذا عبد الرحمن ابن أبي بكر بن خلف شيخ الإسكندرية الذي انتهت إليه رياسة الإقراء فيها، ونبغ حتى قال فيه سليمان بن عبد العزيز الأندلسي: ما رأيت أحداً أعلم بالقراءات منه، لا بالمشرق ولا بالمغرب. وهذا محمد بن أحمد بن الحطاب شيخ الإسكندرية في الحديث وتوفي سنة ٥٢٥. أما أبو القاسم بن مخلوف فأحد كبار المالكية الذين أذاعوا هذا المذهب في الإسكندرية. وكان لمحمد بن الحسن بن زرارة حلقة في الجامع لإقراء الأدب كما كان المشرف على خزانة الكتب فيه. وممن سجل لهم التاريخ تدريسهم بالجامع الجيوشي العالم الأديب أحمد بن محمد بن المنير أحد الأئمة المتبحرين في التفسير وفقه المالكية والأصول والبلاغة كما كانت له اليد الطولى في علم الأدب. وكان عز الدين بن عبد السلام يقول عنه: الديار المصرية تفتخر برجلين في طرفيها: ابن دقيق العيد بقوص، وابن المنير بالإسكندرية.

وأول مدرسة أنشئت بهذا الثغر المدرسة الحافظية التي أقيمت في عهد الحافظ الفاطمي (٥٢٤ — ٥٤٤ هـ) ويظهر أنها أنشئت في عهد الوزير أحمد بن الأفضل بن أمير الجيوش لتدريس علوم الشريعة. ويحفظ لنا القلقشندي في كتاب صبح الأعشى (ج ١٠ ص ٤٥٨) نسخة سجل بتولية مدرس هذه المدرسة. وقد تكفل فيه الوزير برزق طلبة المدرسة وأستاذها الذي سيشرف على هذا الإنفاق. وفي هذا السجل يتحدث عن السبب الذي دعا إلى بناء مدرسة بثغر الإسكندرية فيقول: «ولما انتهى إلى أمير المؤمنين ميزة ثغر الإسكندرية — حماه الله تعالى — على غيره من الثغور، فإنه خليق بعناية تامة... لأنه من أوثق الحصون والمعاقل، والحديث عن فضله وخطير محله لا تهمة فيه للراوي والناقل، وهو يشتمل على القراء والفقهاء، والمرابطين والصلحاء، وأن طالبي العلم من أهله ومن الواردين إليه، والطارئين عليه، مشتتو الشمل متفرقو الجمع — أبى أمير المؤمنين أن يكونوا حائرين، ولم يرض لهم أن يبقوا مذبذبين متبددين، وخرجت أوامره بإنشاء المدرسة الحافظية...»

واختارها ابن السلار الوزير الفاطمي كذلك سنة ٥٤٦ هـ (١١٥١ م) لإنشاء مدرسة للشافعية فيها، أسند إدارتها إلى السلفي وقد عمرت هذه المدرسة، وكانت تعرف بالمدرسة السلفية حتى بعد وفاة شيخها، وفيها تخرج كثير من العلماء الممتازين ولم يكن للشافعية مدرسة غيرها.

وقبل هاتين المدرستين، سكن الإسكندرية ودرس فيها عالم ممتاز هو محمد بن الوليد الطرطوشي، فقد تزوج من موسرة وهبت له داراً هيأ منها قاعة وهبها للطلبة، وجعلها مدرسة لازم التدريس فيها، وتفقه عنده بها جماعة من الإسكندريين. ولما توفي الطرطوشي سنة ٥٢٠ هـ جلس لإلقاء الدرس بها بعده تلميذه سند بن عنان الفقيه المالكي.

تلك حال المدارس قبل عهد الأيوبيين، فلما جاء صلاح الدين استكثر منها، وفتح أبوابها للأقربين والأبعدين، ونصب فيها مدرسين لجميع ألوان العلوم. وقد شاهد ابن جبير هذه المدارس عندما زار الإسكندرية في أيام ابن أيوب وقال عنها في كتابه: «ومن مناقب هذا البلد ومفاخره العائدة في الحقيقة إلى سلطانه

المدارس والمدارس الموضوعة فيه لأهل الطلب والتعبد يفدون من الأقطار النائية ، فيلق كل واحد منهم مسكناً يأوى إليه ، ومدرساً يعلمه الفن الذي يريد تعلمه ، وإجراء يقوم بجميع أحواله . واتسع اعتناء السلطان بهؤلاء الغرباء ، الطارئين ، حتى أمر بتعيين حمامات يستحمون فيها متى احتاجوا إلى ذلك ، ونصب لهم مارستانا لعلاج من مرض منهم ، ووكل بهم أطباء يتفقدون أحوالهم ، وتحت أيديهم خدام يأمرونهم بالنظر في مصالحهم التي يشيرون بها من علاج وغذاء . »

والظاهر أن أغلب مدارس الأسكندرية كان لطائفة المالكية ، فقد عرفنا عدداً جماً من أساطين هذا المذهب يسكنون ذلك الثغر ، فمن تلك المدارس مدرسة ابن الأنجب ، وقد عرفت باسم مدرسها على بن الأنجب الفقيه المالكي ، وأحد أكابر حفاظ الحديث وعلومه ، صحب السلفي وانتفع به ، وصحبه العلامة المنذرى وأطال صحبته وعليه تخرج ، وله نظم علماء كقوله :

أيا نفس ، بالمأثور عن خير مرسل وأصحابه والتابعين تمسكى
عساك — إذا بالغت في نشر دينه — بما طاب من نشر له أن تمسكى
وخافي غدا يوم الحساب جهنما إذا لفحت نيرانها أن تمسك

وكان ينوب في الحكم بثغر الأسكندرية ومات سنة ٦٢١ .

ومنها مدرسة بنى حديد التي درس فيها أحمد بن محمد بن سلامة وهو من رؤساء المالكية توفى سنة ٦٤٥ .

ولست أدرى إن كانت دار الحديث النبيهية التي تولى مشيختها على بن أحمد الغراقي المتوفى سنة ٧٠٤ قد أنشئت في عصر الحروب الصليبية أو بعده .

وعرفت الأسكندرية طائفة من أعلام العلماء درسوا في دور العلم المختلفة بها ، مما يدل على حركة علمية ناضجة :

فمن فقهاء الشافعية ، وكانوا قليلين بها — أبو الحجاج يوسف ابن عبد العزيز ، وهو من علماء الأصول والجدل ، روى عنه السلفي ومات سنة ٥٢٢ ، ومحمد بن عبد الله بن النن المتوفى عن ثمانين سنة بالأسكندرية سنة ٦٧٩ .

ومن فقهاء المالكية ، وكانوا بها أكثرية — أبو الحرم مكى نفيس الدين ، وقد أدرك السنين الأولى في الحروب الصليبية ، ومات سنة ٥٠١ ، وألف شرحاً عظيماً لتهذيب المدونة للبراذعي في مجلد ، وشرحاً على ابن الجلاب في فقه المالكية أيضاً في عشر مجلدات ، وأبو الحسن على بن إسماعيل الأبيارى الذي برع في علوم شتى : الفقه والأصول وعلم الكلام ، وله مؤلفات حسنة ، منها شرح البرهان في أصول الفقه ، وكان بعض العلماء يفضله على فخر الدين الرازى في الأصول ، ومنها كتاب سفينة النجاة ، على طريقة إحياء العلوم للغزالي . وكان الفضلاء يقولون : إنه أكثر إتقاناً من الإحياء وأحسن منه . وأصله من مدينة أبيار على شاطئ النيل بالقرب من الأسكندرية ، ومات سنة ٦١٦ . ومنهم ابن رواج تلميذ السلفي ، وهو عالم ورع توفى سنة ٦٤٨ هـ .

ونبغ في الأسكندرية طائفة كبيرة من القراء ، نذكر منهم الحسن بن خلف القيرواني المتوفى سنة ٥١٤ . واليسع بن عيسى الأندلسي الذي أخذ القراءات عن أبيه ، وكان أبوه من جلة المقرئين ، وأقرأ هو بالأسكندرية ، ثم رحل إلى مصر فقربه صلاح الدين ، ورتب له معلوماً وافراً . وكان يكرمه ويشفعه في مطالب الناس . وكان مقرئاً محدثاً حافظاً نسابة مؤرخاً ، له كتاب تاريخ في محاسن المغرب وتوفى سنة ٥٧٥ . ومنهم عبد الرحمن بن عبد المجيد الصفراوى الفقيه المالكي المقرىء المحدث المتوفى سنة ٦٣٦ ، وقد انتهت إليه رياسة العلم في الثغر . وعبد الله بن محمد النكزاوى المقرىء النحوى المؤلف المتوفى سنة ٦٨٣ . والمكين الأسمر شيخ قراء الأسكندرية المتوفى سنة ٦٩٢ هـ .

ومن رجال التفسير بالأسكندرية يحيى بن محمد التجيبي ، قال الذهبي : حج وجاور ، وسمع بمكة وسكن الأسكندرية ووعظ ، وصنف في التفسير والرقائق ومات سنة ٦٥٢ .

ومن رجال الحديث بها عبد الله بن عبد الرحمن الديباجي ، من ولد عثمان بن عفان ، كان واسع الباع في علم الحديث ، كثير الرواية ، متصرفاً في النظم والنثر ، مات سنة ٥٧٢ . وأبو الطاهر إسماعيل بن مكى بن عوف ، وهو شيخ المالكية بالثغر ، تفقه على الطرطوشي ، وصار إمام عصره في المذهب ، وعليه مدار الفتوى مع الورع والزهد ، وله مصنفات منها كتاب التذكرة في أصول الدين ، وهو الذي قصد إليه صلاح الدين وسمع منه موطأ مالك ومات سنة ٥٨١ هـ . ومنهم الفقيه المالكي المحدث أبو العباس

أحمد ابن عمر القرطبي ، سمع الحديث من مشايخ المغرب وتلمسان وسبته ، ورحل مع أبيه من الأندلس صغيراً ، وسمع بمكة والمدينة والقدس ومصر ، واستقر به المقام في الإسكندرية ، وكان معروفاً بالبلاغة والتقدم في علم الحديث ، وله على صحيح مسلم شرح سماه المفهم في شرح صحيح مسلم ، واختصر صحيحي البخاري ومسلم ومات سنة ٦٥٦ ؛ ومنهم ابن العماد منصور بن سليم الذي رحل في طلب العلم إلى مصر وبغداد ودمشق وحلب وغيرها ، وعنى بالحديث وفنونه ورجاله ، وبالفقه ، وألف فيهما كما ألف تاريخاً للإسكندرية ، وصنف معجم شيوخه . وممن روى عنه الشرف الدمياطي ، ومات سنة ٦٧٣ . ولم يخلف في الثغر مثله .

وعرفنا في الإسكندرية طائفة من النحاة ، نذكر من بينهم الحسن بن جعفر بن صروان الذي صنف كتاباً في النحو سماه الذهب ، وكان موجوداً سنة ٥١٧ . ومنهم ثابت بن حسن خليفة اللخمي ، وكانت له معرفة بالنحو ، وينظم شعر علماء كقوله :

العلم يمنع أهله أن يمنعا   فاسمح به تنل المحل الأرفعا
واجعله عند المستحق وديعة   فهو الذي من حقه أن يودعا
والمستحق هو الذي إن حازه   يعمل به أو إن تلقنه وعى

ومات سنة ٦٢٥ ؛ وعيسى بن عبد العزيز بن عيسى ؛ وكان مقرئاً نحوياً ، وترك مؤلفات تزيد على خمسة وأربعين في النحو والحديث والوعظ والتاريخ والأدب والقراءات والتجويد والفقه ، منها كتاب الأمنية في علم العربية ، والرسالة البارعة في الأفعال المضارعة ، والإفهام في أقسام الاستفهام ، وكتاب الجامع الأكبر والبحر الأزخر في القراءات ، وقد قرئ عليه في رجب سنة ٦١٤ بداره في ثغر الإسكندرية . وله ديوان شعر ومات سنة ٦٢٩ هـ . ومنهم العالم المشهور ابن الحاجب فقد وفد على الإسكندرية . وعبد العزيز بن مخلوف الذي قدم إلى الإسكندرية من بلاد المغرب وأصبح بها من أئمة النحو ، وتخرج على يديه نحاة الإسكندرية ولكنه لم يصنف شيئاً ، وله شعر متأثر بالنحو تأثراً بالغاً مثل قوله :

ومعتقد أن الرياسة في الكبر   فأصبح ممقوتاً به وهو لا يدري
يجر ذيول العجب طالب رفعة   ألا فاعجبوا من طالب الرفع بالجر

ومات سنة ٦٩٣ .

وأرجو أن أوفق في فرصة أخرى إلى دراسة باقي ألوان الثقافة ومعرفة رجالها .

أحمد أحمد بدوي
مدرس بكلية دار العلوم بجامعة فؤاد الأول

مراجع البحث :

١ — الديباج المذهب .   ٢ — حسن المحاضرة .
٣ — طبقات الحفاظ للسيوطي .   ٤ — السلوك للمقريزي .
٥ — بغية الوعاة للسيوطي .   ٦ — طبقات القراء للذهبي .
٧ — كشف الظنون .   ٨ — رحلة ابن جبير .
٩ — وفيات الأعيان .   ١٠ — الدرر الكامنة .
١١ — صبح الأعشى .   ١٢ — النجوم الزاهرة .
١٣ — شذرات الذهب .   ١٤ — طبقات المفسرين للسيوطي
١٥ — الروضتين في أخبار الدولتين   ١٦ — الخطط للمقريزي
١٧ — طبقات الشافعية للسبكي .

مالتـــــــــوس
ومشاكل السكان فى العالم

للأستـــــاذ فؤاد طرزى

لم يثر أى كتاب من الكتب ضجة كالضجة التى أثارها كتاب توماس مالتوس (بحث فى نظرية السكان) الذى صدر فى سنة ١٧٩٨ فى منتصف فترة النهضة التى تسمى نهضة « الزيادة الكبرى » فى مجموع السكان وفى بلاد إزداد عدد سكانها زيادة سريعة لم تدانها أية زيادة من الزيادات التى حصلت فى بلدان القارة الأوربية الأخرى . فقبل هذه النهضة بـ ١٥٠ سنة كان سكان القارة الاوربية يبلغون قرابة الـ ١٠٠،٠٠٠،٠٠٠ نسمة ، ولكن بعد النهضة بـ ١٥٠ سنة أخرى واجهت شعوب أوروبا مشكلة ابتداء حصول نقصان فى مجموع السكان . ولكن فى سنة ١٧٩٨ ، عندما أخذ يتضاعف عدد سكان القارة الأوربية الذى يبلغ الـ ١٨٧،٠٠٠،٠٠٠ — على الرغم من ارتفاع عدد المهاجرين الذى بلغ ٥٥٠،٠٠٠،٠٠٠ — اكتسبت نظرية مالتوس التى سماها نظرية زيادة السكان أهمية سريعة .

فى عام ١٦٥٠ كان تعداد سكان العالم يقارب ٥٠٠،٠٠٠،٠٠٠ ، ثم بلغ هذا التعداد فى سنة ١٩٤٠ بليونين ، وقد حصل نصف بليون من هذه الزيادة خلال المائة سنة بين ١٦٥٠ و١٧٥٠ ، فى حين حصلت زيادة البليون الآخر فى السنوات التى تلت ذلك . وبذلك ازداد فى ٣٠٠ سنة عدد الأوربيين — الذين يدخل فيهم السلالات المنحدرة النقية التى تعيش فى الخارج — زيادة تبلغ السبعة أضعاف ، وهكذا ، ومع مرور الزمن غدت ظاهرة الزيادة — كما كتب لنكزلى دافيس — شبيهة بسلك رفيع يحترق ببطء وتمتر ، إلى أن أدرك الاحتراق نهايته فانفجر . ولعل أبرز مظهر لظاهرة زيادة السكان فى الغرب — وهى الظاهرة التى أطلقنا عليها اسم نهضة « الزيادة الكبرى » فى مجموع السكان — تتبدى فى إزدياد عدد نفوس الشعوب الناطقة بالإنجليزية . فقد كان تعداد هذه الشعوب يبلغ ٥،٥٠٠،٠٠٠ فى عام ١٦٠٠ فتضاعف إلى ٢٠٠،٠٠٠،٠٠٠ فى عام ١٩٤٠ . وفى المائة سنة الأخيرة من التاريخ التقريبى إزداد عدد سكان الجزر البريطانية نحو أربعة أضعاف ما كان عليه ، هذا بالإضافة إلى أن أكثر من ١٧،٥٠٠،٠٠٠ قد هاجروا من هذه الجزر إلى أميركا الشمالية ودومنيونات ما وراء البحار .

ويرى العلماء المحدثون أن مالتوس قد وجه نشاطه مبدئياً ، فى الطبعة الأولى من رسالته ، نحو دراسة مشكلة الفقر ، وإن مسألة السكان كانت ثانوية فى آرائه . فقد أراد أن يدرس طبيعة الفقر كما انكب آدم سمث على دراسة طبيعة الثروة ؛ إلا أنه وضع رسالته رداً بها على وليم كودون والتلاميذ الاشتراكيين مستهدفاً إثارة المحافظين الدينيين والاشتراكيين المتطرفين فى آن واحد .
وكتب مؤرخ حياته جيمس بونار يقول : « لقد غدا مالتوس من بعد ثلاثين سنة أمطر خلالها الناس سيلا من الأخطاء أعظم شرير فى عصره ، وأصبح إنساناً يدافع عن الجدرى وعن العبودية وعن قتل الأطفال وعن إلغاء الزواج المبكر ، إنساناً بلغت به الوقاحة أن يتزوج بعد إلقائه وعظاً يبين فيه مساوىء العائلة ، إنساناً ظن أن العالم بمجموعه سلسلة ظواهر تحكمها عوامل الشر حكماً يدفع إلى الاعتقاد بأن خير الأعمال هى ما كانت أكثرها إيذاء .
ولم يقدم مالتوس — باعتباره شارحاً لأسباب الفقر — أجوبة مقنعة تتفوق فى شمولها وقناعتها على تلك الأجوبة التى وضعها بعض المتحمسين من ذوى العقول الجافة كهنرى وجورج وكارل ماركس . وإن نظريته التاريخية التى نقحها فى الطبعة السادسة لرسالته هى أكبر ما قدمه » .

قرر مالتوس بأن نسبة الزيادة بين السكان تفوق نسبة الزيادة فى المواد الغذائية ، ولذلك — إذا لم تضبط هاتين النسبتين عند حد متوازن واحد — فستجتاح الإنسانية المصائب والكوارث والنكبات والآلام . وقد أفرغ نظريته فى قانونه المشهور : تجرى زيادة السكان على شكل متوالية هندسية — بهذه الصورة ٢و٤و٨و١٦و٣٢ ... الخ — وتجرى زيادة المواد الغذائية على شكل متوالية حسابية — بهذه الصور ١و٢و٣و٤و٥ ... الخ — فاذا لم نضف أراض جديدة كما يقول مالتوس فسوف لا يستطيع أى شعب فى العالم أن ينتج من المواد الغذائية سنوياً إلا ما كان

بنتجه فى السنة السابقة ، فى حين أن عدد السكان — كما ظهر فى أمريكا — يزداد زيادات متضاعفة من جيل إلى جيل ، ولذلك فإن زيادة السكان لا تسير فى مستوى واحد مع إنتاج المواد الغذائية إلا بوجود تحديدات معينة ، وإن التحديد الحاسم بين هذه التحديدات هو المجاعة التى تعتبر الضابط الذى يوقف ازدياد السكان . وعلى ذلك فإن هناك تحديدات أخرى من الممكن أن يظهر مفعولها قبل ظهور فعل هذا التحديد ، وهى الفقر والحرب وسوء التغذية والفجور . كما أن تقييد الزواج من الوسائل الرئيسية المعينة على التهرب من مثل هذه النتائج المخيفة . وكل مشروع يوضع لإنشاء مجتمع أصلح ولتحقيق حاجات أكبر يستهدف إضعاف مفعول هذا القيد — تقييد الزواج — لا ينجح إلا فى تقوية الجرائم التى نشأ كل تلك الإنسانية .

إن العلماء يميلون اليوم إلى تجنب المناقشات التى لا طائل تحتها بتوجيه سؤال واحد ، هو : كيف يمكن لفروض مالتوس أن تصاغ بشكل تثبت فيه لاختبارات الباحثين فى مشا كل زيادة السكان . ويقول هؤلاء العلماء : دعنا نفترض حصول زيادة كبيرة فى السكان أعقبها هبوط فى استهلاك الأغذية ، وإن ارتفاع معدل الوفيات أدى فى النهاية إلى المجاعة . فى هذا الفرض — حسب نظرية مالتوس — يجب أن يكون العلاج الوحيد تقليل نسب الزواج بدرجة كافية للتقليل من نسب الاخصاب البشرى . ولكننا إذا ما أخضعنا هذا التقدير الافتراضى إلى حقائق علم السكان نجد — باستثناء حالات الحرب — أن شعباً واحداً فقط من بين شعوب أوروبا قد انطبقت عليه تنبؤات مالتوس وهو الشعب اليهودى . وبتعقب فترة المائة والخمسين سنة التالية لعهد مالتوس ظهر لعلماء السكان بأن هذا الباحث قد عاش فى مرحلة خاصة من مراحل التطور الإنسانى . وعن طريق المصادر العلمية المادية وتقدم الوسائل الاحصائية والرياضية وتطور أساليب إحصاء النفوس يستطيع هؤلاء العلماء أن يحللوا هذه المراحل ليكتشفوا التغييرات الأساسية فى نسب الوفيات والولادات التى تحققها ، وبذلك تستطيع هذه التحليلات والدراسات أن تعينهم على إعداد العدة للمستقبل . ومن هنا يظهر أن أغلب أساليب التحليل والاحصاء الحديثة قد استخدمت لإصلاح عمل هذا الباحث الذى عبر عن روح العصر الذى كان يعيش فيه

ونحن نعلم علماً تاماً — بعد أن ندع جانبا التطورات التى تعود فى أصلها إلى ظروف الحرب — بأن معدل الوفيات قد استمر فى هبوطه منذ زمن مالتوس كما نعلم بأن ارتفاع معدل الأعمار لا ارتفاع معدل الولادات هو الذى سبب هذه الحركة فى مسائل السكان وهى الحركة التى دفعت مالتوس دفعاً مباشراً لصياغة نظريته . وكان لكارساندرس فضل الكشف عن هذا الهبوط فى معدل الوفيات الذى بحث ظواهره فى انجلترة حوالى ١٧٣٠ فى السنة التى ولد فيها أكبر معمر فى عصر مالتوس . وقد أبان هذا الباحث أن المعدل قد هبط من ٣٥ فى الألف إلى ٢٢ فى الألف فى عام ١٨٣٠ ، أى بعد ثلاث سنين من إخراج مالتوس الطبعة الخامسة من رسالته . ثم مرت بعد ذلك مائة وأربعون سنة أخرى قبل أن تبدو بوادر هبوط فى معدل الولادات عام ١٨٨٠ يعادل الهبوط الذى طرأ على معدل الوفيات فى انجلترة حوالى ١٧٤٠ . وظلت الوفيات تتناقص إلى أن بلغت ١٠ فى الألف فى العقد الأول من هذا القرن ، وظلت تتزايد نسبة الولادات خلال الستين سنة التالية . ويعود سبب ذلك لحد كبير إلى الفرق الكبير بين المعدلين .

ولقد كان من نتيجة التطورات العظيمة فى العلوم الطبية والصحية وفى الشئون الاجتماعية العملية إنقاذ نفوس كثيرة ، ثم تطور ذلك فى عام ١٧٥٠ بقيام الفلاحين بزرع أرضهم زروعاً زودتهم بالخضروات واللحم الطازج بدلا من تركها بوراً فى الشتاء ، كما وفر استعمال القطن بعد ذلك للطبقات العامة منسوجات رخيصة فازداد هبوط معدل الوفيات .

إن مشكلة السكان التى شغلت مالتوس خاصة ، مشكلة إطعام الشعب الإنجليزى الذى يتزايد عدده مع بقاء جزيرته كما هى من حيث المساحة . هذه المشكلة قد حلت — كما يقول هارولد رايت [1] بعد بضع مئات من السنين بنتيجة الزيادة الهائلة التى حصلت فى إنتاج البضائع المتنوعة ومبادلتها بالأغذية والمواد الخام المنتجة فى القارات الجديدة . فكلما ازدادت النفوس أصبح الغذاء أرخص لازدياد المهاجرين الذين ينتجون الأغذية

(١) كتاب السكان طبعة نيورك ١٩٢٣ ص ٣٣

في الخارج وازدياد العاملين الذين انتشروا في أوروبا عند استعمال الماكينة الزراعية والبواخر والقاطرات وهي الوسائل التي ساعدت على إنتاج الأغذية ونقلها من مكانها إلى محلات استهلاكها : فالثورة الصناعية قد قضت على أزمات السكان طوال مدة بلغت المائة عام .

وتزايد هذه الوسائل الجديدة مكن أوروبا من إنشاء شعب صناعي كثيف لم تكن تحلم باستطاعتها إعاشته . ولكي لا نغمط كل حق لمالتوس يجب أن نشير إلى أنه قد تنبأ بهذه الإمكانيات ولو كان تنبؤه مشوباً باليأس كما يظهر من الملاحظة التالية الواردة في رسالته .

« وقد نفرض ، ونحن في غمرة التأملات الشاردة الجدية ، أن أوروبا يجب أن تنمي حبوبها في انجلترة وأن تكرس نفسها تكريساً تاماً للصناعة والتجارة وتصبح أحسن آلة عاملة على سطح الكرة الأرضية . ولكن حتى إذا ما جارينا المفترضين في مبالغاتهم وقلنا بأن طبيعة الأشياء ستنتهي بجعل أوروبا آلة عاملة من النوع الذي يفترضونه ، وإنها ستوفر إمكانيات تستطيع بواسطتها هذه القارة أن تزيد نفوسها زيادة تتجاوز مساحة أراضيها ، إلا أنه مع ذلك ستكون النتائج مؤلمة إيلاماً كبيراً ، إذ أن الحقيقة التي لا يصح نكرانها تتطلب أن يقوم كل أقليم ، حسب إمكانياته الطبيعية وقدرته على خلق الثروة ، بالإنتاج لنفسه . فما العمل إذن عند ما تبدأ أمريكا — بمقتضى هذه الظاهرة — بسحب حبوبها من أوروبا لتكفي نفسها ، وحين تصبح المنتجات الزراعية الأوروبية غير كافية لسد النقص الذي تحس به ؟ لا شك أنه سيبدو حينذاك بأن الفوائد الوقتية المتحصلة من زيادة نسب الثروة والسكان قد كانت غالياً ودفعت إلى مقاساة فترة طويلة عامرة بالآلام والمتاعب[١] .

ومع أن الثورة الصناعية قد وقت أوروبا من أخطار ازدياد السكان ، إلا أنها لم تمثل تعديلاً أساسياً تحدى مالتوس ، ولذلك فإنه حين ابتدأت حركات الموازنة اتخذت الأسلوب الذي دعا إليه — اطراد هبوط معدل الولادات — ولو أنها لم تتشكل بالشكل الذي تنبأ به . فإن معدل الزواج ظل في منطقة واحدة مرتفعاً — في الروسيا — أما شعوب الدنية الغربية فقد تجنبت أزمات السكان بالإشراف على الولادات عن طريق وسائل التحديدات العائلية . فإذا ما قلنا بأنه قد تخلل عصر نمو السكان هبوط معدل الوفيات فيجب أن نعترف بأن هبوط معدل الولادات قد كان جزءاً مضاداً .

فقد كان واضحاً منذ عام ١٨٥٠ بأن معدل الولادات قد هبط في فرنسا والولايات المتحدة وإرلندا ، كما كانت الدلائل تدل على أن الزيادة الهائلة التي طرأت على الولادات في أميركا قد ابتدأت في الهبوط ثانية منذ الإحصاء الأول عام ١٧٩٠ . فبين عام ١٨٤٧ وعام ١٩١٤ هبط معدل الولادات في فرنسا من ٢٧ في الألف إلى ١٩ ، وهبط خلال الحرب العالمية الأولى إلى ١١ في الألف ثم استأنف بعد ذلك الهبوط بعد ارتفاع وقتي . وقد اشتد هذا الهبوط ، مع بعض التغيير حيناً ، أو مع عدمه في حين آخر ، في العصر الذي يسمى عصر الزواج ، ويعزى سبب هذا الاشتداد إلى تحديد الولادات داخل العائلة ، إذ المعروف أن عمليات تقليص حجم العائلة قد استمرت في فرنسا ، ثم انتشرت من هذه البلاد إلى شعوب أوروبا الغربية .

وأما في انجلترا فإن معدل الولادات قد وصل إلى درجة عالية عام ١٨٥٠ ، إلا أنه من عام ١٨٨٠ أخذ يعاني هبوطاً مستمراً . وفي خلال فترة قصيرة أمدها ستون سنة (بين ١٨٧٠ و١٩٣٠) هبط هذا المعدل من ٣٥ في الألف إلى ١٥ . وقد كان لهذا الهبوط أثر كبير على الحياة الإنجليزية .

فكيف إذن فشل مالتوس في التنبؤ بإمكانية هذا التقلص في حجم العائلة الذي يعتبر أعظم انقلاب في شؤون السكان في العالم الحديث ؟ لقد ظهر لأغلب المفكرين الأحرار بأن مالتوس كان يخدم جهتين مختلفتين : جهة المستغلين ، وجهة ذوي السلطة . واكتشف العالم الألماني هانس ميوهوف بأن أعمال مالتوس قد تأثرت بدفاعه عن التقاليد ، كما أن العالم جيمس نيلد قد وصل بعد دراسة دقيقة إلى نتيجة أثبت فيها بأن مالتوس كان مطلعاً على الدعاية الموجهة لتحديد الولادات في زمانه ، ولذلك عارض بقوة كل تدبير طبيعي لتحديد حجم العائلة . .

(١) ف . ع مالتوس (بحث في السكان) الطبعة السابعة المجلد ٢ ص ١١ . مجلدات مكتبة الجيب .

ولعل هذا الدفاع عن التقاليد الأرذوذكسية — والذى دفع علماء السكان إلى أن يسموا صاحبه « البارسون مالتوس » قد جعل من منافسيه من أمثال فرانسيس بلاس وريشارد كارليك وروبرت ديل والدكتور جارلس نولتون أقدر منه فى معالجة الفروض العلمية

إن الضرورات تقتضى — حسب نظرية مالتوس — أن يكون الزوج قادراً على إعالة زوجة وستة أطفال ، أما علماء السكان فى الوقت الحاضر فيقولون إن إنجاب المائة ثلاثة أطفال يكفى لاستقرار السكان ، بينما يؤدى إنجاب كل مائة ستة أطفال إلى مضاعفة السكان من جيل إلى جيل . وليس هناك من يشك فى إخلاص مالتوس فى دفاعه عن الضابط المنوى ، ولكننا يجب أن نشير فى مقابل ذلك إلى أن الكتاب والمصلحين فى أيامه قرروا ما يقرره اليوم كثير من رجال الدين وعلماء التشريع وقادة الاجتماع بأنه إذا ما أراد المجتمع أن يجعل من الاتصال الجنسى قيمة سامية ؛ فالزواج المبكر خير معوان على ذلك .

ويبدو أن تاريخ الشعب الإيرلندى خير تصوير محزن لفرضية مالتوس ، وهو الشعب الذى كانت المجاعة أكبر آفة أصابته ؛ فى سنة ١٦١٠ ابتدأ السير والتر راليه بزرع بذور البطاطس المستوردة من أمريكا فى مزرعته ، وبعد مضى جيلين أصبحت البطاطس الغذاء الرئيسى فى إيرلندا . وكان الفرد يزود بهذا المصدر الغذائى الجديد ، فيتزوج شاباً ثم ينمو بسرعة . ولذلك أخذ عدد السكان يتضاعف ابتداء من عام ١٨٤٩ إلى أن بلغ هذا التضاعف أوجه عندما صار تعداد السكان ٠٠٠ر٣٠٠ر٨ . وقد جاء فى كتاب السير جيمس كونور « تاريخ إيرلندا » ما يلى : « لقد شجع السلك الدينى الزيجات المبكرة ، وشجعت السياسة الإيرلندية الزيجات المبكرة كذلك ، وأدى هذا التشجيع المزدوج إلى حصول زيادة سريعة فى السكان . ولكن ظل ما يقارب الثلاثة ملايين والنصف من النفوس ملمومين فى أكواخ موحلة مغطاة بالقش ، كل كوخ يتكون من غرفة واحدة بلا نافذة ولا منفذ . وفى عام ١٨٤٤ ظهرت فى أميركا الآفة النباتية التى تعطن البطاطس خلال بضعة أيام .

وفى صيف ١٨٤٦ اجتاحت هذه الآفة إيرلندا كالوباء الأسود وأهلكت المؤن الغذائية التى يعيش عليها الفلاحون ؛ ومات خلال خمس سنين بين ١٨٤٦ و ١٨٥١ حوالى ٠٠٠ر ٠٠٠ر ١ شخص . وكان من نتيجة ذلك فيضان هجرة كبيرة من إيرلندا فغادرها خلال عقد واحد ربع السكان متوجهين إلى الولايات المتحدة . ثم أخذ عدد المهاجرين فى التزايد حتى بلغ فى ظرف جيلين ٠٠٠ر ٠٠٠ر ٥ ولكن الإيرلنديين جابهوا الموقف بإيقاف الزواج أو تركه . ويصعب علينا قياس معدل الولادات فى إيرلندا إلا فيما يتعلق بفترة منتصف القرن التاسع عشر ، ولكن كارساندرس قال إن هذا المعدل ربما كان حوالى الأربعين فى الألف عام ١٨٥٠ ثم أخذ فى الهبوط بعد فترة قصيرة من هذا التاريخ فصار ٦٢٣ بالألف بين عامى ١٨٧١ و١٨٨١ ، و٦١٢ بالألف بين عامى ١٩١٠ ١٩٢٦ . وخلال هذه الفترة ازداد معدل نسبة النساء الإيرلنديات غير المتزوجات من اللواتى تتراوح أعمارهن بين الـ ٢٥ و٣٥ من ٢٨ فى المائة فى عام ١٨٤١ إلى ٥٣ فى المائة فى عام ١٩٢٦ . ولا شك أن ترك الزواج بالنسبة لشعب بأكمله فترة طويلة يعنى بالطبع أن عدداً كبيراً سيتركون الزواج نهائياً .

ففى عام ١٨٤١ كان ١٥ بالمائة من النساء الإيرلنديات بين الخامسة والثلاثين والخامسة والأربعين غير متزوجات . وفى عام ١٩٢٦ ارتفع هذا المعدل إلى ٢٩ بالمائة . وهكذا ، فإن ثلاثة أعشار النساء الإيرلنديات يعشن بلا زواج . وأما بالنسبة لأولئك اللواتى تزوجن فإن معدل الولادات بقى بينهن عاليا . وفى عام ١٨٦١ كان يوجد لكل ١٠٠ امرأة إيرلندية متزوجة من اللواتى دون الخامسة والأربعين ١٣٠ طفلا دون الخامسة . وفى عام ١٨٢٦ كان العدد المماثل ١٣٠ طفلا أيضاً . ويقابل ذلك فى انجلترا وفى نفس الفترة هبوط المعدل من ١٠٠ طفل لكل امرأة متزوجة إلى ٠٧١ وقد استقر الآن عدد سكان إيرلندا حوالى ٠٠٠ر ٣٠٠ر ٤ نسمة أى ما يقارب نصف العدد الذى كان عليه عدد النفوس قبل المجاعة . ولهذا السبب نجد أن عدد المنخرطين فى السلك الدينى فى إيرلندا يفوق أى عدد مماثل له فى العالم الغربى إذا لم نقل فى العالم كله . فقد جندت هذه البلاد أبناءها فى سلك الرهبنة ليخدموا الكنيسة الكاثوليكية فى كافة أنحاء العالم . ولكنا إذا عدنا إلى انجلترا وفرنسا والولايات المتحدة وجدنا أنه لم يحدث فى هذه البلدان إلا هبوط قليل فى نسبة الأفراد المتزوجين ؛ ولذلك نرى الكنيسة الكاثوليكية

قضايا الشباب بين العلم والفلسفة

للأستاذ إبراهيم البطراوى

(تتمة)

وفى هذا الكتاب كما فى كل ما كتب جينز تقريباً نجد أوضح البراهين وأنورها ، تصريحاً أوتلويحاً ، على أن العلم — بعد تجارب مضنية استغرقت القرون الماضية — عجز بل اعترف أنه من المحال عليه أن يجد معلولا من غير علة . ودليله على هذا جميع تجاربه الصحيحة الماضية بدون استثناء ، ولذا وضع قانونه الشهير عن (العلة والمعلول) Cause and Effect

ثم رينا فى (نجومه) دلائل عظمة الله وقدرته ولطفه وحلمه وعطفه ، تلك الدلائل القوية التى تبهر العقول وتصعقها . وإن أصدق ما يوصف به هذا الكتاب هو أنه تسبيحة العالم .

ثم ينظر إلينا قائلا : وها كم البرهان الواضح القاطع — بينما أشار إلى كتابه (الكون الغامض) وإذ فيه :

« إن الطبيعة تتجافى الآلات ذات الحركة المستديمة ... ويفسر علم الديناميكا الحرارية كيف أن كل شىء فى الطبيعة يصل إلى حالته النهائية بعملية يطلق عليها : (زيادة درجة التعادل) Entropy (١)

فدرجة التعادل إذن يجب أن تزيد على الدوام ، وهى لا تقف عن الزيادة إلا إذا وصلت إلى حد لا يمكن أن تتعداه . فإذا وصل الكون إلى هذه المرحلة وأصبحت كل زيادة أخرى فى درجة التعادل (أنتروبى) مستحيلة ، فنى الكون ...

« وقانون الطبيعة دائماً هو أحد شيئين ليس غير : النماء أو الموت . وهى لا تجيز إلا سكوناً واحداً هو سكون القبر ...

وعلى أصح المشاهدات العلمية نجد أن درجة التعادل الكونية فى ازدياد مستمر سريع ، وإذن فقد كانت لها بالضرورة بداية وأنه حدث ما يمكن أن يسمى (خلقاً) وفى وقت ليس ببعيد بعداً لا نهائياً »

وإن نهائية الفضاء والزمن على هذا النحو لتضطرنا إلى التسليم بأن عملية الخلق عمل من أعمال الفكر » .

« وإن تحديد الثوابت مثل نصف قطر الكون ، وحجمه ، وكهاربه (ليستلزم) وجود الفكر الذى تقاس خصوبته بضخامة هذه الكميات » .

ثم يبين لنا أن الله سبحانه لا يشبه شيئاً من خلقه ، وليس كمثله شىء ، فلا يجوز عليه مايجوز على خلقه بهذه العبارة الرائعة :

« إن الخالق القادر على كل شىء ، والذى لا يخضع لقيود أياً كان نوعها ، لا يقيد نفسه بالقوانين التى تسود هذا الكون »

ولم يكتف بهذا بل نزهه سبحانه عن الحلول فى زمان أو مكان (لأنه خالق الزمان والمكان) بنفس الحجة القاطعة والأسلوب العذب الرنان .

فالزمن والفضاء اللذان هما إطار الفكر قد كان وجودهما من غير شك جزءاً من هذه العملية — عملية الخلق — وقد كانت علوم الهيئة البدائية تتخيل خالقاً يعمل فى الفضاء والزمن فيصوغ الشمس والقمر والنجوم من مادة غفل موجودة من قبل ! أما النظرية العلمية الحديثة ، فإنها تضطرنا إلى أن ننظر إلى الخالق على أنه يعمل خارج الفضاء والزمن اللذين هما جزء من خلقه ، كما يعمل المصور خارج لوحته .

وهذا يقابل قول أوغسطين : « لم يخلق الله الكون فى زمن بل خلقه مع الزمن » .

والحق أن هذا الرأى قديم يرجع إلى زمن أفلاطون الذى يقول : « خلق الزمن هو والسموات فى وقت واحد ، وذلك

(١) وهى خارج قسمة مقدار الحرارة على درجة الحرارة المطلقة ، وهى تتزايد فى الطبيعة باستمرار لأن عمادها فناء الذرات الكونية من نجوم وأجرام ... عن طريق الإشعاع Radiation وهنا لا ينقطع لحظة من الزمن . ولنلاحظ على سبيل المثال أن الشمس وحدها تصدر من الإشعاع مايكاد يصل بالضبط ٢٥٠ مليوناً من الأطنان فى الدقيقة الواحدة ، وهو يساوى متوسط ما يمر من الماء تحت جسر لندن ١٠٠٠٠ مرة تقريباً

خسرت كثيراً من الجنديين فى هذه الأقطار . ومن هنا نرى أن تخفيض إرلندا معدل الولادات فيها بترك الزواج يعتبر نتاج سلسلة غريبة من الظروف الاقتصادية قويت بإخلاص أهلها للكنيسة ، وأن قصتها تعتبر نموذجاً لطريقة إنقاص عدد السكان فى العالم وهى الطريقة التى يمكن أن تلفت انتباه مالتوس الأخلاقى أكثر من جلبها انتباه مالتوس العالم علاوة على دلالتها على مبلغ جسامة الوسائل التى يحتاج إليها لمزية تفسير مالتوس .

(البقية فى العدد القادم) فؤاد طرزى

لكي يثنيا معاً إذا أريد فناؤهما . هكذا كان عقل الله وفكره في خلق الزمن »

وحين يهم جينز بتوديعنا لا يفوته أن يؤكد كلامه بقوله :

« والآن فإن الآراء متفقة إلى حد كبير يكاد في الجانب الطبيعي من العلم يقرب من الإجماع — على أن نهر المعرفة يتجه نحو هذه الحقيقة وهي أن الكون بدأ يلوح أكثر شبهاً بفكر عظيم منه بآلة عظيمة ... » .

« ولسنا نقصد بهذا العقل بطبيعة الحال عقولنا الفردية — إنما نعني ذلك العقل الكلي الذي توجد فيه على شكل فكر تلك الذرات التي نشأت منها عقولنا » .

وهذا ما يعنيه بعض الفلاسفة المتقدمين من تحويل الفكر إلى مادة ، وما يعنيه العلم الحديث اليوم من محاولات لعله يستطيع رداً الطاقة أو تحويلها إلى مادة .

وفي قول جينز تفسير (إلى حد ما) لمعنى قوله تعالى : إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له : كن فيكون ، فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون » .

على أنه يجب أن نكون أكثر حذراً ولباقة في تمييز حقائق العلم من فروضه وآرائه : فالقانون أو الحقيقة قصدنا ، وما عدا ذلك يكون حكمه حكم غيره من الآراء الإنسانية . وعلى حد تعبير الغزالي :

العاقل يقتدي بسيد العقلاء علي رضي الله عنه حيث قال : « لا تعرف الحق بالرجال . اعرف الحق تعرف أهله . فالعاقل يعرف الحق ثم ينظر في نفس القول : فإن كان حقاً قبله سواء كان قائله مبطلا أو محقاً ، بل ربما يحرص على انتزاع الحق من كلام أهل الضلال عالماً بأن معدن الذهب الرغام » اهـ

هذا هو العلم ، وإن شئنا قلنا الدين ؛ فكلاهما فطرة الله . وكلاهما في تراوحه — في حدود قوانينه ومجموعاته الأزلية — خاضع لإرادة الله وسنته التي منها سنة التطور والارتقاء .

ولعل خير ما أوجهه إلى الشباب تلك العبارة الطريفة التي وجهها إليهم وإلى الشيوخ أيضاً قبل اليوم بقرون ، الفكر العبقري الإمام الغزالي . قال رحمه الله في كتابه الممتع (المنقذ من الضلال) : « إنما مطلوبي العلم بحقائق الأمور فلا بد من طلب حقيقة العلم ما هي ؟ فظهر لي أن العلم اليقين هو الذي ينكشف منه المعلوم انكشافاً لا يبقى معه ريب ، ولا يقارنه إمكان الغلط والوهم . ولا يتسع القلب (أي العقل) لتقدير ذلك ؛ بل الأمان من الخطأ ينبغي أن يكون مقارناً لليقين مقارنة لو تحدى بإظهار بطلانه مثلا من يقلب الحجر ذهباً والعصا ثعباناً لم يورث ذلك شكا وإمكاناً : فإني إذا علمت أن العشرة أكثر من الثلاثة وقال قائل لا ؛ بل الثلاثة أكثر بدليل أني أقلب هذه العصا ثعباناً ، وقلبها وشاهدت ذلك منه ؛ لم أشك بسببه في معرفتي ، ولم يحصل لي منه إلا التعجب من كيفية قدرته عليه ؛ فأما الشك فيما علمته فلا .

ثم علمت أن كل ما لا أعلمه على هذا الوجه ولا أتيقنه على هذا النوع من اليقين فهو علم لا ثقة به ولا أمان معه ، وكل علم لا أمان معه فليس بعلم يقين » اهـ

***

تلكم هي قضية الشباب وقائعها وملابساتها . وهذا غاية ما أمكن أن نصل إليه من وسائل علاجها ، والتاريخ بحوادثه شاهدها وأنتم قضاتها الدول ، فالحكم لها أو عليها وما يترتب على ذلك منوط بذمتكم أنتم ، فعليكم وحدكم تقع جميع تبعاته .

وقبل أن أختم كلامي أرى واجب العلم يحتم علي أن أثبت ضمن أقوالي هذه الحقيقة :

وهي أننا سجلنا في أفقنا المحلي هذه الأيام ظاهرة تنبئ القرائن أنها تتجه وصالح قضيتنا .

ومهما يكن الباعث عليها فإنا على كل حال نرجو أن نستفيد منها إلى حد كبير .

إبراهيم الطراوي

مراجع لم تذكر في ثنايا البحث :

(١) الرد على الدهريين (السيد الأفغاني)
(٢) تهافت الفلاسفة (للإمام الغزالي)
(٣) العقد الحلي (للدكتور محمد أحمد الغمراوي)
(٤) سنن الله الكونية (« « « «)
(٥) أسرار الفطرة : (الدكتور الغمراوي والدكتور الكرداني بك)
(٦) الكون الغامض : ت (الأستاذ مرسي)
(٧) الثورة الفرنسية (الدكتور صبري)
(٨) الكاتب المصري
(٩) مذهب داروين الدكتور سوريال

ترجمة وتحليل :

الخـــلود

لشاعر الحب والجمال لامرتين

ترجمة الأستاذ صبحي إبراهيم الصالح

[تتمة]

وهذه البصيرة التي تشهد الإله باطناً في كل شيء ، ظاهراً من كل مكان ، ترى فوق ذلك أن العـالم — بحبه ووجده — ما يفتأ باحثاً عن الله ، ناشداً نجواه ، حريصاً على عرفان صفاته ، والتقرب إلى ذاته ؛ وأنه بجماله ونظامه وإحكامه صورة تحكي جمال خالقه ، وحكمة مدبره ، وقدرة صانعه ، ومرآة تنعكس فيها معاني رحمته ورأفته ، وفضله وكرمه . فالنهار لا يشمع بنور الشمس وإنما يشرق من نظرات الإله ، والحسن لا يرثه المرء عن أبويه وإنما يفيض من بسمات الله ؛ فإذا ما ابتسم راضياً عن العبيد ، أذن لمولود جيل سعيد ، أن يبهر هذا الوجود !

فما أجدر القلب الذي ينبض بإذن الله أن يعبده ويهواه !

« إن هذا العالم الذي ينشد الوصول إلى كمال صفاتك
صورة تحـكي جمـــالك ، ومرآة تعـكس مزاياك :
فالنهار يفيض من نظراتك ، والحسن يفيض من بسماتك ،
والنفس في كل مكان تلقاك ، والقلب أينما كان يهواك ! »

بيد أن هذا الإله الحي القيوم ، المقتدر الرحيم ، لو اجتمعت الفطر السليمة والأرواح الصافية على أن تصفه لا تستكمل وصفه ولو كان بعضها لبعض ظهيراً ؛ وإن العقول البشرية لأعجز من أن تدرك مزاياه الحسنى : فهي كلما شرعت تصفه أدركها الكلال ، وكلما أخذت تتكلم منه غلبها الصمت ، وكلما طفقت تتحرك نحوه رزحت تحت ذاته القاهرة ؛ فتستكين وتشعر بضعفها ثم لا تجد الراحة بعد كلالها إلا في طمأنينة الوجدان ، ولا تطيق الكلام بعد سكونها إلا بألفاظ الحمد والتقديس ، ولا تستطيع الحركة بعد جمودها إلا بالقيام والركوع والسجود .

« لا يستكمل وصفَ إلهك كلُّ هذه المزايا الباهرة
أيهـــا القيـوم الأزلي المقتـــدر الحبيب !
والروح — وهو رازح تحت ذاتك القــاهرة —
يقـــدس قدرتك حتى في صمته الرهيب ! »

ومهما قدس الروح قدرة الله ، ومهما جدَّ في البحث عنه وأتى اليد بذاته وخضع له في جميع أحواله ، فلن يُسليه شيءٌ من ذلك إلى أكثر من أن يحبه حباً يملك عليه مشاعره ، ويزيد شوقه وحنينه ؛ فيستحيل هذا الحب في النفس الشاعرة ناراً مضطرمة لا تتراجع دون باب الله مهما طردت عنه حتى يؤذن لها بالدخول فيأخذ لهيبها في الانطفاء حين ترى عن قرب بعض صفات هذا الخالق العظيم .

« رباه ! ما زال يأتي إليـــك بذاته
هذا الروح المحطم خاضعاً لإرادتك الأزلية
ولما ضاق بالحب شاعراً أنه ختام حياته ،
التهبَ لعرفانِ صفاتك القدســـية ! »

هذه صلاة الروح في معبد الطبيعة : ألحانها من السماء ، ونورها من الله ، وينبوعها الشعور والوجدان .

ومثل هذه الصلاة الروحية كثيراً ما صفا بها قلبا لامرتين وحبيبته ، فانطلقا على نغماتها إلى العالم المجهول الذي يتخيلان الوصول إليه ، فيجثوان بين يدي الإله الرحيم ، ويصليان لوجهه الكريم ، ويدعوان الصباح والمساء يحملان إليه أنفاسهما الطاهرة ثم يستشعران في سكرتهما البون الشاسع بين السماء والأرض ؛ فما الأرض إلا سجن أو منفى ، وما السماء سوى المأمن والمأوى .

« ولما ختمت القول استجمع أنفاسَنا قلبانا
إلى عالم مجهـــول حققتـــه الآمال ،
ودأب الصباح والمســاء ينشــدانه نجوانا
ونحن جاثيانِ أمامه بالغدو والآصــــال ؛
فرأت عيوننا الأرض منفـــاً، والسماء مثوانا
وهي سكرَى في نشـــوة ما تزال ! »

ومع ذلك فما هذه الصور الرائعة التي تبدو لعيني الشاعر في سكرته الروحية سوى نشوة ما أسرع ما تزول ؛ والروح كلما شرد هذا الشرود ، ورأى هذه الرؤى وثب ثائراً هائجاً وراح يضرب الجسد الذي يحبه ، ويريد أن يخلص منه إلى الأبد لينتقل من

هذه الأخيلة الكواذب إلى عالم الحقيقة الخالد . وهذا ما حرك نفس الشاعر وحمله على التأوه والأنين ، وعلى التضرع إلى الله أن ينعم على الروح بفصله حقاً عن الجسد وإطلاقه من قيوده حين يكونان فى مثل هذه السكرة لكيلا يرتدا بعدها إلى الصحو الذى ليس فيه سوى الواقع المر الأليم .

« وفى هذه اللحظات التى يثب فيها الروح الشرود ،
ويود لو حطم الصدر الذى يحبسه ويخنقه ...
أواه ! لو استجاب لنا الإله من أعلى الوجود ،
فضرب كلاً منا ضربة تفصله وتطلقه ... »

يتمنى لامرتين هذا فى تأوه وأنين ، لأنه يتوقع السعادة يوم تنفصل الأرواح عن الأبدان !

فالأرواح ما دامت أجسادها تكبلها بأغلال من عظام ولحم وشحم وعروق وشرايين ، وتكلفها ما لا تنتهى مطالبه من طعام وشراب ومشتهيات ، لن تستطيع أن تتحرك قيد أنملة ؛ بل ستبقى محجوزة عن كل ما تريد ، محجوبة عن كل ما ترغب !

وما بالأرواح رغبة فى حطام فان أو مادة زائلة ، إنْ تريد إلا أن تسرى فى العوالم أنى تشاء ، وأن تجتاز حزنها وسهلها وعاليها وسافلها ، وظاهرها وباطنها ؛ وأن تسرح من سماء إلى سماء فترى ما ينشاها وتسمع موسيقاها وأن ترق فى لج البحر إلى موطنها الأول روضة الخلود ، وإلى ينبوعها الذى لا ينضب روح الإله ؛ وأن تطير على جناح الحب فى فضاء واسع لا يحده البصر ، ولا ينتهى فى الزمان ولا المكان ؛ وأن تضىء فى طيرانها ما حولها كما يضىء شعاع الشمس فى سطوعه كل شىء ؛ وأن تنفذ أخيراً إلى نفس الخالق وتمتزج فيها إلى الأبد امتزاج الأنفاس ، ثم تهدأ بعد ثورتها ، وتأنس بعد وحشتها ، وترى الحقيقة بعينها بعد أن ذهلت كثيراً فى دنيا الخيال .

ولو استجاب الله دعاء لامرتين ودعاء أمثاله .

« إذن لاجتازت أرواحنا العوالم فى سراها
وهى ترق بوثبة واحدة إلى ينبوعها الثرار ،
ولامتدت على جناح الحب فى فضاء لا يتناهى
كأنها شعاع من أشعة النهار ،
ثم امتزجت إلى الأبد فى نفس من براها
بعد أن تصل إليه ولها مستطار ... »

والشعراء مهما استغرقوا فى أخيلتهم لا بد للشك أن يغزو قلوبهم ؛ وما هو إلا أن يصحوا من سكرتهم ، ويصرخوا فى وجه الأقدار مستنطقيها ما تكتب أيديها ، ومستنطقيها عن ما تبيته لياليها ؛ فهل هى خادعتهم عن أمانيهم وضاحكة من آمالهم أم ستجعل أخيلتهم حقائق ، وأحلامهم واقعات ؟

وكذلك فعل لامرتين ... فإنه لما أحس استغراقه فى خياله عاد إلى الأقدار يسألها : هل الكائنات مولودة للفناء ؟ ثم يسألها بشىء من المرارة : هل ستفنى النفس مع الجسد إذا قضت عليها الشركة أن تقاسمه الموت ؟ وهل سيبلع القبر فى جوفه هذه النفس فى ظلام الليل ؟ وما تصير بعد فنائها ؟ أتستحيل غباراً متناثراً ، أم تطير فوق الأحياء ، ثم تذهب فى الفضاء ؟

وفى هذه الأسئلة حيرة الشاعر وتردده ، وفيها خوفه على مصيره ورهبته من عاقبته وعواقب الناس .

« أيتهـــا الأقدار ! هل خدعتنا أمانينا ؟
وهل الكائنات مولودة للفناء ؟
وهل يبلع القبر آناء ليالينا
نفساً تقاسم جسدها حكم القضاء ؟
وهل تصير غباراً أم تطير حوالينا
ثم تتلاشى كصوت ذاهب فى الفضاء ؟ »

وحين يختم لامرتين هذا اللحن الحزين فى هذه القصيدة العصماء يأبى إلا أن يصرح بأن الروح الذى خاطبه وناجاه لم يكن سوى حبيبته (جوليا) فتراه يتغنى باسمها فى البيت الأخير ، مستطلعاً منها عما امتنعت الأقدار من إعلامه به ، إذ يسألها بعد أن فاضت أنفاسها وفارقت دنياها : هل بقى على حبها شىء مما أحبت ؟ وهل تشعر بحب هذا المتيم على العهد أم تريد على وفائه موثقاً ودليلاً ؟ ثم يعلن لها أنه يهبها حياته ، ويرجو أن تشهد مماته مقابل شىء واحد : هو أن تشعر بحب هذا الفتى المخلص فى حبها فيكون شعورها برهاناً على خلودها ويكون خلودها جواباً لسؤال خطير طالما خبأته الأقدار ، وعوذته بالأسرار .

« بعد أن فاض نفسك يوم الوداع الأخير
ألم يبق شىء يحبك من كل ما كنت تحبين ؟
أواه ! لن أسأل سواك هذا السر الخطير ،
فانظرى يا جوليا موت حبيبك ثم أجيبين ! »

وهكذا عاد الشاعر إلى خياله ، واستمسك بآماله ، وختم قصيدته بعالم الخلود ...

صبحى ابراهيم الصالح

من وحي الربيع :

زهـــرة !

للأستاذ إبراهيم محمد نجا

سألتني ذات صبحٍ   ما تراني ؟ قلت : زهره
عطرها في القلب أفرا   حٌ ، وفي النفس مسرّه
ولها لون كلون الـ   حبّ ما أعجب سحره !
ولهـا إشراقة النو   ر على صدر البحيره
وربيع مستـــهام   قد أطال الحب عمره
ليس يغضي عن رباها   وصباها قيد شعره
أمرته بهـــواها   فغدا يعشق أسره !
كلما مرت عليها   نسمة تعرف سره
حدثتها عن جواه   ومضت تنشد شعره
وتغنت بهـــواه   وأزاحت عنه ستره
فتثنت وهي نشوى   وأفاق الحب فجره

أنت يا زهرة عندي   جنة عذراء نضره
أنت للحيران أفق   عنده يبصر فجره
أنت للظمآن معين   بالنمير العذب ثره
أنت إلهام وفن   يعرف الفنان قدره
أنت في أعماق روحي   وفـــؤادي مستقره
فيك أحلام حياتي   ـ يا حياتي ـ مستمره
فيك شيء لا تراه   غير روحي وهي حره
فيك سحر لست أنسا   ه ، وقد أنسيت غيره
فيك ما أجهل سره   فيك ما أعرف أمره !

يا هوى عمري ، ويا نو   ر الهوى الساري وعطره
يا رجاء بعد يأس   واهتداء بعد حيره
يا صفاء بعد أن كا   نت حياتي مكفهره
يا نعيما بعد أحزا   ن وحرمان وحسره
إن يكن قصر فني   فاعرفي للفن عذره
هل تحوز الكون ذره   أو تضم البحر قطره ؟
إنمـــا أنت جمال   يتراءى الفن إثره
نادر في كل وقت   ساحر في كل فتره !
قد تجلى فيه ما لله   ـه من فن وقدره
أنت لحن تخشع الأر   واح إذ تسمع نبره
زهرة أنت ، ولكن   يا نعيمي أي زهره !
حسب قلبي منك عطر   وكفاني منك نظره

من ألحان الوفاء :

أبي . . .

للشيخ محمد رجب البيومي

أبي ، لست أهوى في الحياة سوى أبي
فلا تلحني إن رققت يوماً بمذهبي

مليك على قلبي توطد عرشه   يتوجه حبي بتاج مذهب
تربيت طفلا في حدائق بره   وقبلت من وشيها كل معجب
فذقت جناها واتشيت بكرمها   ولذت بفينان من العيش مخصب
ومازلت في دور الشباب أزورها   فأقطف من ريحانها النفس ما ربي
عـاني ولادهر الخؤون براثن   تأوهت منها بين ناب ومخلب
وآثر تعليمي ولم يك ذا غنى   فأنفق جهداً طال منه تعجبي
يظل وراء الرزق يكدح متعبا   لأرفل في نعمائه غير متعب
كأني منه مستظل بدوحة   نمت فأقامت وحدها بين سبسب
أراه فأنسى الهم مبتهجا به   كما رأى في الليل طلعة كوكب
وما سر قلبي أن أفارق ظله   ولو أن لي ما بين شرق ومغرب
إذا مسني سقم تبدد بشره   فليس يرى إلا بوجه مقطب
فيدعو أطباء ويسأل ربه   ويبكي عندي لا يطيق تجنبي
أقول له هون عليك مطمئنا   فللداء وقت إن دنا منه يذهب
ويعلم أني بالقراءة مولع   فيملأ بالأسفار والصحف مكتبي
ويقرأ مثلي ثم يصدر نقده   فإن أرتد للتعقيب بابا أعقب
وأطلب منه الرأي إن عن مشكل   فينطق من فكر أصيل مرتب
فإن جاء أصحابي تهلل وجهه   فيلقاهم مني بأهل ومرحب
كأن أمين الله أقبل نحوه   من الملأ الأعلى على رأس موكب

فياليت شعري هل إذا كنت والدا
أكون لأولادي كما كان لي أبي

وهيهات أن أرقى إليه فوالدي   ملاك ومن لي بالملاك المحجب
بعثت به يارب والليل حالك   يضل به الساري فبدد غيهبي
فشكرا أبي ـ طوال الحياة ـ فإنما   بقاؤك في دنياي غاية مطلبي
لكل أب فضل كبير على ابنه   فمن يرو سوءا من أبيه فكذب

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوي

سلامة موسى أو قصة الثأب وما كتب :

لم أكن أعلم أن للأستاذ سلامه موسى تلميذاً آخر إلا حين وقع فى يدى العدد الأخير من مجلة « المقتطف » — فى هذا العدد الذى أصدرته المجلة عن شهر يونيو طالعت مقالا آخر فى الرد على تحت عنوان « النقد والتعقيب فى الصحف والمجلات » لكاتب لاداعى لذكر إسمه لأن أحداً لايعرفه ؛ لايعرفه على الرغم من أن له كتاباً صدر منذ شهور إسمه « الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث » ! ... وأعلم أن هناك سؤالا يتردد فى الأذهان ليأخذ طريقه إلى الشفاه : كيف لايعرفه أحد وله فى أسواق الأدب كتاب ؟ الجواب عن هذا السؤال هو أن الكتاب « القيم » لم تعرفه أسواق الأدب حتى الآن ، وإنما عرفته أسواق تجار الورق حيث يباع « الفن الرفيع » بالرطل !!

إن لهذا الكتاب قصة ... قصة تكمن فصولها وراء هذا الهجوم الذى شنه على صاحبه فى « المقتطف » منذ أيام . ولا بأس من أن أسرد لك فصول القصة بإيجاز ، لتدرك أن الدافع الأصيل لهذا الهجوم لم يكن بسبب موقفى من الأستاذ سلامه موسى ، ولكنه كان بسبب موقفى من الكتاب « القيم » ! وقبل أن أحدثك من فصول القصة أقسم لك أن هجوم الكاتب « النابه » قد هزنى هزاً عنيفاً ... إن التافهين يستطيعون أن يهزونا نفس الهزات العنيفة التى نلقاها من النابغين ؛ فالعبقرى يستطيع أن يزلزل كيانك حين تقرأ له زلزلة تقديس وإعجاب . وكذلك التافه فإنه يستطيع أن يزلزل كيانك أيضاً زلزلة رثاء وسخرية ! ومن هنا هزنى الكاتب « النابه » هزاً عنيفاً خشيت معه على رئتى الوجيعين أثر الإنفجار ... من الضحك !!

قصة طريفة مافى ذلك شك ، أقصها عليك لتنسى — ولو إلى حين — حر الصيف و « هجوم الشباب » ...

مفتاح القصة أمامى وأنا أكتب هذه الكلمة ؛ إنه ليس إلا نسخة من كتاب « الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث » ... إياك أن تظن أنى من الغفلة بحيث أشترى مثل هذا الكتاب ، ولكن صاحبه هو الذى كان من الغفلة بحيث أهداه يوما إلىّ لأكتب عنه سطوراً تقدمه إلى القراء ! ويبدو أنى كنت قليل الذوق لأنى تناسيت حتى اليوم من الكتابة عنه ، على الرغم من أن الكتاب قد أرسل إلىّ مع رسول خاص يحمل إلىّ رجاء صاحبه أن أخصه بشىء من عطف ، وعلى الرغم من أن صفحته الأولى قد حليت إلى إهداء ضخم يمكن أن يرتفع بى إلى مكانة سانت بيف فى النقد الأدبى !!

ومضت الأيام « والرسول الكريم » يلاحقنى ليلاً ونهاراً موفداً من قبل « الأستاذ » المؤلف لأكتب عن الكتاب ولو كلمة صغيرة فى « الرسالة » ؛ ولكننى تماديت فى قلة الذوق إلى الحد الذى دفعنى إلى مصارحة « الرسول الكريم » بأنى أمين قلمى وأمين « الرسالة » وأمين عقول القراء إذا كتبت عن هذا الكتاب ... وذهل « الرسول الكريم » ولم يجد بدا من نقل كلامى إلى « الأستاذ » المؤلف ، ولعله فعل هذا ليريح لسانه من كثرة الرجاء وقدميه من طول السير !!

أنا على إستعداد لأن أنقل إليك عبارات الإهداء المضخمة بالإنكترات ، وعلى استعداد لأن أذكر لك اسم « الرسول الكريم » وعلى استعداد لأن أقدم لك أسماء من شهدوا فصول القصة من الأدباء ، لتدرك الدوافع الأصيلة لهذا الهجوم الذى « عطر » ثلاث صفحات من « المقتطف » ؛ لقد كنت بالأمس فى رأى الكاتب « النابه » أديباً كبيراً يشار إلىّ بالبنان فأصبحت اليوم فى رأى الكاتب نفسه لاشىء ... وسبحان من جرد الكاتب « الجهبذ » من ثوب الخلق والضمير ، ومن أضاع ماء الحياء من وجوه بعض الأحياء !!

أترك هذا كله لأقول للكاتب « النابه » إن القاعة الطويلة التى قصها إلىّ من كتب الأستاذ سلامه موسى راجياً منى أن أعود إليها عسى أن أغير رأيى فيه ، أقول له إن تلك الكتب بما تحمل فى أحشائها من جراثيم الفتك بالقيم والتقاليد والضمائر والأخلاق والعادات ، هى وحدها سبب حملى عليه — فليرجع هو إليها ليغترف العلم من منابع الإنحلال !

أما تلك الفقرات التي نقلها إليّ من كتاب «تربية سلامه موسى» ليستدر بها عطفي على رجل «خدم الأدب والفكر قرابة أربعين سنة كي ينير ويعلو ويسمو بالشباب إلى مثليات القرن العشرين ويخرجهم من ظلمات القرون الماضية ويكافح هذا الشرق المتعفن الذي تنغل فيه ديدان التقاليد» إلى آخر هذا الكلام المضحك الذي ورد في ذلك الكتاب، أقول إن تلك الفقرات جديرة بالتصديق من نزلاء مستشفى المجاذيب !!

أيصدقني قراء «الرسالة» إذا قلت لهم إنكم لم تجدوا تلميذاً لهذا الرجل إلا وهو واحد من هذه التشكيلة العجيبة :

متعلم فاشل، وماجن مستهتر، وفتاة عابثة، ومشاغب يبيع الشغب لمن يشتريه، ومسخ مشوه منبوذ من الحياة ...

مع أخلص التحية للأستاذ عباس محمود العقاد !!

بين نعيم الديمقراطية وجحيم الشيوعية :

هذه قصـــة ذات مغزى ودلالة، وقعت حوادثها في أرض الديمقراطية الحق لا أرض الديمقراطية المزيفة ... هناك حيث يتفيأ الناس ظلال الحرية ويستروحون أنسامها الوديعة ! ولقد حدثتك في العدد الماضي من «الرسالة» عن أرض الديمقراطية المزيفة، تلك التي يلقى فيها «رالف بانش» ما كان يلقاه العبيد في أحلك عصر من عصور التاريخ ... من حق هذه الأرض أن نهدي إليها هذه القصة، وإن كنا نخص بالإهداء أرضاً أخرى يعرفها المضللون من أصحاب الأفكار المنحرفة والمبادىء الهدامة !

«نحن» المستر كايمنت أتلي رئيس وزراء بريطانيا يوما إلى كليته القديمة فذهب لزيارتها حيث أقيمت له حفلة غداء ... وبدأ الطلبة المحافظون عملهم فكتبوا بحروف كبيرة فوق سيارة رئيس الوزراء (ممنوع الوقوف هنا)، ثم داروا حول السيارة وأطلقوا سراح الهواء المحبوس في العجلات ثم ذهبوا من حيث أتوا. وفي تلك اللحظة حضر سائق سيارة رئيس الوزراء وراعه ما أصاب السيارة فجرها إلى أقرب جراج ولم يخرجها منه إلا في اللحظة التي استعد فيها المستر أتلي لمغادرة كليته القديمة! غير أن الطلبة المحافظين أبوا أن ينتهي نشاطهم عند هذا الحد فأسرعوا إلى الغرفة التي توجد فيها قبعة رئيس الوزراء، ولما وجدوا بابها مغلقاً داروا حولها حتى وجـــدوا نافذة مفتوحة فتسلقوا بها وانتزعوا القبعة بعصا لأحدهم ثم كتبوا على ورقة بخط جميل (أنتخب المحافظين في الانتخابات القادمة)، ثم ثبتوا الورقة ببعض الدبابيس في قبعة المستر كايمنت أتلي ... كل ذلك وقع ولا علم لرئيس الوزراء به، ولكنه ما كاد يستقل سيارته حتى هرع الطلبة المحافظون إلى نافذة في الطابق الأعلى ورشوا عربة الرئيس بالماء !

وتقبل أتلي كل هذه الأعمال بروح طيبة، واعتبرها مداعبة مألوفة من الطلبة» !!

ديمقراطية يؤمن بها الحاكم ويستثمرها المحكوم، ويلتقون جميعاً في رحابها كأكرم ما يلتقي الإنسان الكريم بالإنسان الكريم وما أروعها من أرض تلك التي تنبت الحرية ليجني ثمارها الأحرار ضع أي رجل من رجال «الكرملين» في مكان كايمنت أتلي، وضع بعض الطلبة من الروس في مكان بعض الطلبة من الإنجليز وتصور ماحدث هنا وقد حدث هناك! إن في مجاهل سيبريا متسعاً للجميع ... وهـــذا هو مفرق الطريق بين نعيم الديمقراطية وجحيم الشيوعية !

إلى المضللين من أصحاب الأفكار المنحرفة في مصر نهدي هذه القصة، ونهدي إلى المثقفين منهم — وما أقلهم — كتابين يصوران هذا الجحيم الشيوعي خير تصوير، وإن كان أحدهما قد نقل عن رأي العين بينما نقل الآخر عن رأي الشعور ... «آثرت الحرية» للكاتب الروسي كرافتشنكو، و «الأيدي القذرة» للكاتب والفيلسوف الفرنسي سارتر !!

بعض الرسائل من حقيبة البريد :

هناك أصدقاء مجهولون يكتبون إلي من حين إلى حين ... لماذا يؤثرون أن يظلوا مجهولين وهم أصدقاء؟ إنني أود من الكاتب المجهول (س) الذي بعث إليّ برسالته الكريمة حول قصة «من وراء الأبد» أن يكشف عن شخصيته لأرد على تحيته.

وهذه رسالة أخرى نبيلة الهدف جليلة الغاية من «حلفا — سودان» يقترح علي صاحبها الأديب الفاضل الطيب عبد الله جلال الدين أن أطلب إلى الدكتور طه حسين والأستاذ العقاد أن يكتب الأول كلمة في «الرسالة» عنوانها «أخي الزيات»، وأن

يكتب الثاني كلة أخرى عنوانها « مصطفى صـــادق الرافعي » ليتحقق الصفاء في الأدب عن طريق الصفاء في النفوس ... أود أن أقول للأديب الفاضل إن الكلمة التي ينتظرها من الدكتور طه عن الأستاذ الزيات ستلقى قريباً عند مايستقبل مجمع فؤاد الأول للغة العربية صاحب « الرسالة » بمناسبة إختياره عضواً في المجمع؛ أما الكلمة الأخرى فلعل الأستاذ العقاد يكتبها يوماً ما . ومهما يكن من شيء فقد حسم الموت مابين الرجلين من خلاف . أما الرسالة الثالثة فتحمل إلى من « الخرطوم — سودان » تقديراً كريماً أرده لصاحبه شكراً خالصاً وهو الأديب الفاضـــل أحمد عوض محمد الوظف بالبنك الأهلي المصري ، وكم أود أن يرجع إلى بعض مؤلفات الأستـاذ سلامه موسى ومقالاته ليدرك سر نقمتى على أفكاره المنحرفة ، هذه الأفكار التي تهدم كثيراً من القيم الخلقية والإنسانية !

وحين أنتقل إلى الرسالة الرابعة أشعر أن إخواني في الجنوب قد بلغوا الغاية في الوفاء والخلق والعقل ... إن الأديب الفـاضل عبد الله شلبي من « عطبرة — سودان » يقدم الدليل على هذا السمو الخلقي والفكري في ثنايا رسالته . أما الجواب عما سألني عنه حول شخصية الأستاذ توفيق الحكيم الفنية فيستطيع أن يستخلصه مما كتبته عنه على صفحات « الرسالة » ، لأنني قد تعرضت لهذا الجانب من جوانب شخصيته في الكلمة التي جعلت عنوانها « الفن بين واقع الفكر وواقع الحياة » . وأقول لصاحب الرسالة الخامسة الشاعر الفاضل جعفر عثمان موسى « كوستي — سودان » إنني قد قضيت مع شعره لحظات تذوق ودراسة ، وسأوافيه برأيي في رسالة خاصة .

أما الرسالة السادسة فأشكر لمرسلها الشـــاعر الفاضل محمد المديسي نبيل عاطفته وعاطر ثنائه ، وأقول له إن الكلمة التي كتبها صديق الأستاذ عباس خضر رداً على رسالته إليه قد خفف من وقعها وضوح القصد في رسالته إلى ... ولهذا يبادر الأستاذ خضر بشكر الشاعر الأديب مثنياً على هذه الروح المثالية . وهذه هي الرسالة الأخيرة من الأديب الفاضل عبد الرحمن أحمد شادى الطالب بالأزهر ، أنها تحمل سؤالا ينتظر الجواب عن رأى لشوبنهور ورد في كتاب « قصـــة الفلسفة الحديثة » للأستاذ أحمد أمين بك والدكتور زكي نجيب محمود ... أرجو أن يتسع وقتى للرد على سؤال الأديب الفاضل في الأيام المقبلة ، لأن التعقيب على آراء الفلاسفة يحتاج إلى كثير من الوقت والجهد والعناء !

« مقاتل الطالبيين » لأبي الفرج الأصفهاني :

إذا قلت عن هذا الكتاب إنه كتاب قيم فلا أعدو الحق والواقع ... حسب القارىء أن يكون مؤلفه هو أبوالفرج صاحب « الأغاني » وحسب أبي الفرج أن يكون « الأغاني » مشـــيراً إليه ودليلا عليه . أما محققه الأستاذ السيد صقر فشاب يضن بوقته على أن ينفق فيما لافائدة منه ولا خير فيه ، كما يفعل كثير من شباب العلم في هذه الأيام ... وإنما ينفقه في البحث والتنقيب والتحقيق ليقدم إلى قراء العربية من حين إلى آخر مايقع عليه من نفائس الآثار الفكرية في التراث العربي القـــديم ؛ يقدمها خالصة من الشوائب في حدود مابين يديه من مصادر تتصل بموضوع تحقيقه من قريب أو من بعيد : أما موضوع الكتاب فتدرك أهميته ونفاسته من عنوانه : مقاتل الطالبيين !

في هذا الكتاب ترجم أبو الفرج للشهداء من سلالة أبي طالب ، أولئك الذين استشهدوا في سبيل الرأى والعقيدة على أيدى الخصوم من بني أمية أو بني العباس ! ترجم لهم في الفترة التي تبدأ من عصر الرسول وتنتهى بنهاية القرن الثالث الهجرى ، سواء أكان المترجم له قد لقى حتفه بالسيف في ساحة الجهاد ، أم لقى حتفه بالسم في ساحة الغدر ، أم لقى حتفه بالتعذيب في غيابة السجن ، أم لقى حتفه في مكمنه الذى لجأ إليه فراراً من البطش والعدوان !

ولقد رجع الأستاذ السيد صقر في تحقيق هذا الكتاب إلى نسخة خطية محفوظة بدار الكتب المصرية ، كما راجع نصوص الكتاب على الكتب التي نقل منها أبو الفرج أو التي نقلت عنه مثبتاً ما بينها من فروق ... كما حرص على أن يثبت في أول كل ترجمة كل مايعرف من مراجع عرضت للمترجم له بأى لون من ألوان الذكر ، وعلى أن يصنع للكتاب فهارس مفصلة للرواة والأعلام ، والجماعات ، والفرق ، والأماكن ، والأيام ، والشعر ، والمصادر ، والتراجم .

كل هذا يطلعك على مدى الجهد الذى بذله الأستاذ المحقق واستحق عليه كل تقدير وكل ثناء ... أما الكتاب نفسه فتحفة نادرة من تحف أبي الفرج ينشدها قارىء الأدب وقارىء التاريخ !

أنور المعداوي

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

أثمان الكتب في وزارة المعارف :

أوضحت في الأسبوع الماضي موضوع اختيار الكتب للقراءة الأدبية في المدارس الثانوية وما أثير حوله في وزارة المعارف ، كما أبديت ما عنّ لي من الملاحظات في شأنه . وأريد أن أعرض اليوم لمسألة أثمان تلك الكتب ، وغيرها من الكتب المدرسية المؤلفة وفق المناهج الرسمية .

أما كتب المطالعة الأدبية فقد كانت الوزارة تشتريها من السوق الحرة بأثمانها التي تباع بها الجمهور أو بما ينقص قليلا عن هذه الأثمان ، إذ كانت الوزارة تكتب إلى المكتبات ودور النشر ، تطلب موافاتها بالثمن الأصلي وبمقدار ما هي مستعدة أن تنقصه من أصل الثمن من أجل الوزارة ..

وفي فبراير الماضي قررت الوزارة أن تثمن الكتب بحسب نفقات طبعها وورقها وحبرها وتجليدها وما إلى ذلك ، وبتقدير هذه النفقات لجنة خاصة في الوزارة تضم بعض الفنيين في الطباعة والنشر ، وبطبيعة الحال تحصي اللجنة عدد الصفحات والسطور والكلمات والحروف لتقدر ما تكلفته المطبعة في إعدادها . ويضاف إلى هذه النفقات ستون في المائة منها ، للناشر والمؤلف حسبما يتفقان .

وقد كان يقوم بنفسي إزاء الذي كان متبعاً من قبل ، أنه لا يليق بالوزارة أن تطلب من الناشرين وأصحاب الكتب معاملتها معاملة خاصة من حيث إنقاص الثمن بنسبة معينة ، فهذا أشبه بالمساومة التي يترفع عنها كثير من الناس ، ولم تشترى الحكومة بثمن غير الذي يشترى به الناس ؟ وهل هي عندما تشترى السلع الأخرى تطالب بمثل هذا « الخصم » ؟

ولكن ذلك شيء يسير ، يشغلنا عنه الآن هذا القرار الأخير الذي جب ما قبله ، والذي أرى عليه غبنا . ويظهر أن « حرفة الأدب » تدخلت في الموضوع ، فبغت — كدأبها — أن تزرى أهلها : الأدباء ..

وقل لي بربك هل تشترى الحكومة العلف من تبن وشعير وبرسيم لما تملكه من بهائم ، بحسب نفقات الإنتاج ، في غير ما يدخل التسعير العام للجمهور ؟ فما بالها تتخذ هذه الطريقة في غذاء العقول ومنتجات قرائح أصحابها من الطبقة الممتازة في الآدمية ؟

ولم يرتح أصحاب الكتب المقررة إلى تلك الطريقة التي تقرر اتباعها في تثمين كتبهم ، ومن أوجه الضرر التي تلحق بهم أن الوزارة حينما تشترى الكتاب بثمن بخس وتأخذ منه عشرة آلاف أو عشرين ألفاً أو ما بين ذلك ، ترخصه في السوق ، فقد يعود إليها بعد التوزيع على الطلبة بثمن أقل . ويرون أن الأمر غير لائق من الوجهة الأدبية كما هو مجحف من الناحية المادية يقول بعضهم : هل نحن نعتصر أفكارنا لتقدر بسعر ما تكتب به من الحبر ؟

وقد حدث أن قدرت اللجنة الجزء الأول من كتاب « الأيام » بستة قروش وهو يباع للجمهور بعشرين قرشاً ؛ ولما علم الدكتور طه حسين بك مؤلف الكتاب بهذا التقدير ، رأى الامتناع عن بيعه للوزارة ، فزيد التقدير عدة مرات إلى أن وصل التقدير إلى ثلاثة عشر قرشاً ، حتى رضى الدكتور . وهذا مثل يطلعنا على ما عساه أن يكون لذلك القرار من جرائر وما يسود تنفيذه من اعتبارات . .

ومما يوجه إلى طريقة تثمين الكتب بنفقاتها المادية ، أنها تسوى بين كتاب وكتاب قد يكونان مختلفين في القيمة الأدبية ، وتلك الطريقة لا تكون عادلة إلا في بيع الكتب المتخلفة من الرواج حينما توزن بالأقات والأرطال . .

ومما يذكر في هذا الصدد ، أن الكتب التي تقرر لمكتبات المدارس تطبق في تثمينها الطريقة الأخيرة ، فما يؤخذ منه أكثر من ثلثمائة نسخة ، أما ما دون ذلك فيشترى بأثمان السوق أو بما ينقص عنها قليلا كما تقدم .

أما الكتب المدرسية المؤلفة وفق المناهج الرسمية فلها قصة أخرى : كانت الوزارة تطبع هذه الكتب بالمطبعة الأميرية ، وتوزعها على طلبة المدارس الأميرية . وقد جرت على أن تعطى

المؤلف مكافأة نحو مائة أو مائتين من الجنيهات، وكثيراً ما يكون للكتاب عدة مؤلفين، وقد يكون له عدا المؤلفين مراجعون ولم تكن المكافأة في نظر المؤلفين والمراجعين شيئاً مذكوراً إنما كان ربحهم من طبع الكتب في مطابع أهلية بنفقات أقل من نفقات المطبعة الأميرية وبيعها بالثمن المقدر رسمياً على أساس هذه النفقات، لطلبة المدارس الحرة في مصر، وليعض وزارات المعارف والمدارس الحرة في الأقطار العربية الشقيقة.

وفي فبراير الماضي قررت وزارة المعارف أن توزع الكتب المدرسية على المدارس الحرة كما توزعها على مدارسها.

ورأت دور النشر في هذا القرار ما يهددها في أرحب مجال أمملها وخاصة في هذا الوقت الذي قل فيه الإقبال على الكتب وتعذر إصدارها إلى الخارج، فشكت إلى الوزارة ما ينالها من جرائه وما يؤدي إليه من تعطيل عمالها، وشاركها في ذلك المؤلفون إذا رأوا أن كل كسبهم من تأليفهم ينحصر في المكافأة الضئيلة المزيلة التي تمنحها الوزارة لهم، وقد قرر بعضهم الامتناع من التأليف المدرسي ما دامت هذه الحال.

ومما لا شك فيه أن امتناع المؤلفين الممتازين من التأليف وقيام غيرهم به ممن يرضى بالقليل يؤدي إلى ضعف التأليف للمدارس وانحطاط مستواه.

وقد تولى وزارة المعارف معالي الأستاذ علي أيوب، وتلك الحال قائمة، وقد تلقى شكايات واستمع إلى وجهات نظر مختلفة. والأمر — في كل ما يتعلق بالكتب مدرسية أو أدبية عامة — بين يدي معاليه قيد البحث والنظر، ولا شك أن روح القاضي التي يعالج بها معاليه أمور وزارة المعارف منذ وليها، يبعث الطمأنينة في نفوس المهتمين بالأمر وذوي الغيرة على الصالح العام.

اليوم خمر:

هي حياة امرئ القيس، وهي تتلخص في هاتين الكلمتين «اليوم» و «خمر» فقد كان يعيش في يومه عيشاً كله خمر، لم يعبأ بالغد ولم يجد فيما نازعته إليه نفسه أحياناً من أمر، فهو يلهو بالشرب والصيد ومغازلة الحسان، حتى إذا قتل أبوه وبلغه نعيه وهو عاكف على لهوه لم يثنه ذلك من شرابه ولعبه وأعلن أن «اليوم خمر وغداً أمر» فإذا نال من قتلة أبيه بعض الشيء أعلنت المنظر

كشكول الأسبوع

□ تنفيذاً لرغبة ملكية كريمة قرر معالي وزير المعارف إقامة لوحة تذكارية بدار الأوبرا للمرحوم نجيب الريحاني تقديراً لما أداه من جهود فنية في خدمة البلاد.

□ أطلق اسم «ابن سينا» و «الرازي» على مدرجين في كلية الطب بباريس. وقد اقترحت اللجنة الثقافية بجامعة الدول العربية إطلاق اسم «ابن سينا» على أحد مدرجات كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول.

□ اعتزمت اليونسكو إخراج مؤلف شامل عن ابن سينا يشترك في وضعه لفيف من أعلام المختصين في مختلف الأمم.

□ نشرت مجلة «الأديب» البيروتية لوكيلها في القاهرة، أن العالم الأدبي (ممثلا في شخصه) استاء من مهاجمة «الرسالة» لسلامة موسى ... وقد كتب ذلك قبل نشر كلمتنا «نجم سلامة موسى لنة العامية» والمنتظر أن يكتب وكيل المجلة إليها العدد القادم معبراً عن استياء «العالم العامي».

□ وافق مجلس كلية الآداب بجامعة فؤاد على تعيين الأستاذ عبد الوهاب حمودة أستاذاً لكرسي شوقي بالكلية.

□ تلقت وزارة المعارف من المسيو هاسرتي ناشر كتاب «تاريخ العالم» الذي تقوم بترجمته إدارة الترجمة بالوزارة وتنشره مكتبة النهضة — رسالة يثني فيها على توفيق الوزارة في نشر الكتاب ودقة ترجمته. وقد جاءت الأنباء بأن الناشر توفي، وكانت وفاته قبل وصول رسالته إلى وزارة المعارف.

□ اعتاد الدكتور ابراهيم ناجي رئيس رابطة الأدباء، حينما يلقي محاضراته بالرابطة، أن يجلس بين فتاتين، تبتسم له كل منها إذا التفت يميناً أو يساراً، وتجلس قبالته فتاة أخرى تبدي على أساريرها علامات الإعجاب كأنها تفهم ما يقول. وقد علق أحدهم على ذلك فقال إن الدكتور ناجي يبدو في هذه الهيئة مثل هارون الرشيد بين جواريه.

□ أذيع يوم الجمعة الماضي الحديث الثاني من أحاديث «قصة الأدب المصري الحديث من أول القرن إلى اليوم» المسجلة بالإذاعة للدكتور طه حسين بك، وقد تناول في هذا الحديث إنشاء الجامعة القديمة وأثرها في النهضة العلمية الحرة، كما تحدث عن بعض أساتذة الجيل وأثرهم في تحرير الفكر، وأفاض خاصة فيما كان يكتب «الشيخ طه حسين» — على حد تعبيره — عن المنفلوطي، ومما قاله أنه يشعر بالخجل لما ذكر عنه في المجرم على المنفلوطي وإن كان لهذا المجرم أثره في التوجيه إلى حرية النقد والتجرد من تقديس شيوخ الأدب في ذلك الحين.

□ تهم اليونسكو بالاشتراك مع الحكومة الفرنسية، معرضاً دولياً في أواخر هذا الصيف بباريس، لعرض الأطوار التي اجتازها البصر في سبيل تحريرهم حتى الآن.

واستأنف يومه وغده، وأعرض عن قده، وأعياه أمره. وتعرض له فكرة الرحلة إلى القسطنطينية للاستعانة بقيصر على استعادة ملك أبيه، فيحزم أمره على الرحلة عند ما يعلم ما في القسطنطينية من خمر معتقة ومن فيها من حسان فاتنات. وهناك يستبدل حانة ميخايلوس بدارة جلجل، وأين عذارى الغدير من لاريسكا وميتورقا وابنة القيصر؟

تلك هي حياة الأمير الشاعر امرئ القيس بن حجر الكندي كما صورها الأستاذ محمود تيمور بك في مسرحيته الجديدة « اليوم خمر » وقد عنى فيها بتصوير الصراع في نفس امرئ القيس بين حياة اللهو والمرح وبين الجد المؤثل، ويغوص الأستاذ في طوايا هذه النفس ليستخرج حقيقة معدنها، فإذا هي نفس جادة إذا هزلت وهازلة إذا جدت!

والمعجزة الكبرى في هذه المسرحية، هي تطويع الجزالة العربية لأسلوب العصر وصب الفحولة الجاهلية في قالب الرشاقة المصرية، وقد مزجت بعض العبارات الأصيلة المأثورة بأسلوب المؤلف فلا تميزها إلا عرفتك إياها من قبل، ومع هذا لا يذهب بك بعيداً من لغة عصرنا هذا رقتها وسهولتها.. وأعتقد أن الأستاذ تيمور بك توخى بذلك أن يستكمل تصوير عصر المسرحية بأسلوب أشبه بلغته، وقد بلغ بذلك ما أراد مع تجنب الإغراب وترك ما ليس مأنوساً في هذا العصر.

وتعرض المسرحية صورة صادقة للحياة العربية البدوية الأولى — كما تخيلها — وتبرز شيمها وطباعها التي تنزع نفوسنا إليها باعتبارها أصلاً من أصولنا، ولا نزال نترسمها في مثلنا وحياتنا. وفيها تعبير عن معان وحقائق إنسانية خالدة. وهي تتسم بالجمال، جمال البيان، وجمال التنسيق في عرض الحوادث والمناظر، وجمال الصدق في التعبير عن خلجات النفوس ومفارقات الحياة.

وقد آثرت أن أمسك عما لاحظته في المسرحية مما أظنه مآخذ، إلى أن نلتقي بها في المسرح، ولعل الفرقة المصرية تفتتح بها موسمها القادم على مسرح الأوبرا، وتهيء لنا بذلك لقاءها هناك.

نجيب الريحاني:

توفي يوم الأربعاء الماضي، الممثل الكبير الأستاذ نجيب الريحاني، وقد بعث نعيه الحزن في كافة الطبقات، فلم يكن فقيد طبقة أو طائفة دون أخرى. إنما هو فقيد أمة، عاش لها وخدمها بفنه ظل حياته على المسرح يضيء لها، وأخيراً احترق.

كان رحمه الله فناناً ساخراً، يسخر من الحياة وممن يعقدون أمورها على أنفسهم وعلى الناس، وطالما حل مشكلاتها بحكمته الضاحكة، وطالما بعث المسرة إلى القلوب بفكاهته الرائقة، وأخيراً أسدل الستار على المأساة إذ فارق الحيـــاة. وقد كان يكشف بحاسته الفنية ما في الحياة من سخف وتفاهة، ولعله بمفارقتها قد بلغ نهاية الفن... إذ أشرف روحه على منازل الأحياء فسخر منهم السخرية الكبرى.

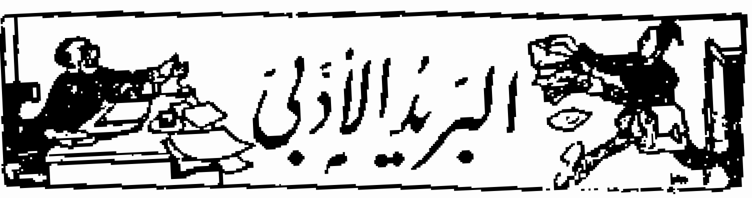
ووفت له الجماهير، إذ احتشـــدت في تشييع جنازته التي هرع الناس إليها من جميع الطبقات فكانت جموعهم ودموعهم مرثية رائعة مطلعها مندوب جلالة الملك.

كانت صحة الفقيد الكريم قد اعتلت أخيراً، ولكنه ظل يعمل على المسرح لأنه لم ير للعيش طعماً مع اعتزال الفن والخلود إلى الراحة، ولكن الراحة الكبرى سلبته الاختيار، فخلى مكانه في المسرح، وأسلم الراية مكرهاً.

كان الريحاني مدرسة في فن التمثيل تهدف إلى الأغراض الإصلاحية، وتؤدي إلى هذه الأغراض بطريقة فكاهية محببة إلى الخاصة والكافة، فكان المجتمع يتلق عليه ويستفيد منه وهو يستمتع بفنه ويطرب لدعابته.

فما أشد فاجعة المرح في الريحاني، وما أفدح خسارة الأمة في فنانها العظيم.

عباس خضر



١ — حول شاهد :

استشهد أحد الكتاب على تأنيث الضبع بقول الشاعر :

فإن (قومك) لم تأكلهم الضبع

وقد أخطأ في استشهاده ، وفي روايته ، كما أخطأ من قبل في ادعائه التأنيث فقط . فقد جاء في لسان العرب : الضبع السنة الشديدة المهلكة الجدبة ، قال عباس ابن مرداس :

أبا خراشة أما (أنت) ذا نفر فإن (قومي) لم تأكلهم الضبع

ومثله في شرح القاموس وغيره .

وجاء في مادة (خرش) من اللسان وغيره ما نصه :

أبا خراشة أما (كنت) ذا نفر فإن (قومي) لم تأكلهم الضبع

قال ابن بري : البيت لعباس بن مرداس السلمي ، وأبو خراشة كنية خفاف بن ندبة ، فقال يخاطبه : إن كنت ذا نفر وعدد قليل فإن قومي عدد كثير لم تأكلهم الضبع وهي السنة الجدبة اهـ

ومن هذا يظهر لك خطأ الرواية أيضاً .

والعرب يستعملون هذا كثيراً في الشكايات ونحوها ، فقد جاء في النهاية في غريب الحديث لابن الأثير : إن رجلا أتاه فقال قد أكلتنا الضبع يارسول الله ، يعني السنة الشديدة الجدبة ، وهي في الأصل الحيوان المعروف ، والعرب تكني به عن سنة الجدب اهـ .

وفي النهاية أيضاً ومنه حديث عمر « خشيت أن تأكلهم الضبع » .

وفي اللسان : جاء أعرابي إلى رسول الله فقال يا رسول الله أكلتنا الضبع فدعا لهم اهـ .

وفي شرح القاموس: وفي حديث أبي ذر قال رجل يا رسول الله أكلتنا الضبع فدعا لهم ، وهو مجاز اهـ . وقوله مجاز أي تجوز في التعبير بالضبع ، فإن المعنى الأصلي الحيوان المفترس المعروف ، والمعنى المجازي هو العام المجدب ، وهو أشد فتكا من الضبع كما ترى في المجاعات ولا سيما في بلاد العرب .

وجاء في خزانة الأدب للبغدادي ج ٢ ص ٨١ ترجمة خفاف ابن ندبة ما نصه : قال حمزة الأصبهاني في أمثاله التي على وزن (افعل) عند قوله (أفسد من الضبع) إنها إذا وقعت في الغنم عاثت ولم تكتف بما يكتفي به الذئب . ومن إفسادها وإسرافها فيه استعارت العرب اسمها للسنة الجدبة فقالوا أكلتنا الضبع . ومما يؤيد هذا أن العرب يقولون أكلتهم السنة إذا أهلكهم الجدب والقحط (شرح القاموس — سنة)

٢ — اهتم وهمّه :

لغتان عربيتان صحيحتان ولا فرق بينهما في الاستعمال :

فقد جاء في لسان العرب : همه الأمر هما وأهمه ، وقال أبو عبيدة في باب قلة اهتمام الرجل بشأن صاحبه همُّك ما همَّك ويقال : همك ما أهمّك اهـ

وجاء في القاموس والمعيار : همه الأمر هماً كأهمه اهـ

وجاء في المصباح : أهمني الأمر بالألف وهمني هماً من باب قتل مثله اهـ

وإني أحذر الكتاب من النقود المزيفة في « لغة الجرائد » وغيرها وعليهم أن يرجعوا إلى المعاجم العربية وغيرها من المراجع العربية .

علي حسن هلالي
بالمجمع اللغوي

نظر في بيت :

في مقال للأستاذ السيد أحمد صقر حول كتاب « نظرات في كتاب الأشربة » للأستاذ كرد علي عقب على البيت التالي :

فهذا ثباتي لم أقل بجهالة ولكنني بالفاسقين عليم

بقوله : « والصواب (فهذا ثنائي) كما في العقد الفريد ، وليس للثبات هنا أي معنى يستقيم به نظم الكلام ، ويقوم عليه بناء معناه » !

قلت : بل للثبات « هنا معنى يستقيم به نظم الكلام وهو إلى الصواب أقرب مما ورد بالعقد الفريد وذلك لسببين :

الأول : أن الشاعر يقرر حالة هي إلى تدح القادح أقرب منها إلى « ثناء » المادح . وأي « ثناء » ذلك الذي يوجه إلى قوم

لا يحفظون الحريم ، ويتقلبون بين الجيئة والذهاب من حب إلى بغضاء ، ومن وفاء إلى عداء ؟!

والثانى أن الأسـتاذ الناقد فهم من « الثبات » أنه الدوام والاستقرار ، ومن ثم كتب ما كتب معتمداً على رواية المعقد الفريد وهي — كما سبق — رواية لا يزكيها واقع الحال ... وإنما يقال في مقام التصحيح أن « الثبات » بمعنى الحجة والبرهان . تقول : لا أحكم بكذا إلا بثبت أو بثبات أى بحجة وبرهان ودليل فالشاعر إنما يقول عن علم وليس عن جهالة وهو بالفاسقين عليم ... وحجته معه !

(الزيتون) عرفان

نماذج جاهروا فصدقوا :

نشرت الرسالة الغراء في العدد ٨٢٩ مقالاً قيماً للاستاذ محمد سليم الرشدان تحدث فيه عن ثلاثة جاهدوا فصدقوا ، في فلسطين ، فأجاد وأبدع في وصف بطولة الشهيد المرحوم عبد الرحيم محمود الشاعر المبدع .

لقد كان بطلاً في حياته ومماته ، وقد كانت الخسارة فادحة ، والرزء عظيم فيه .

وحينما تحدث الأستاذ عن البطلين الآخرين ، لم يصاحبه التوفيق ، لأن الأستاذ الرشدان من السلط من شرق الأردن ، وليس من فلسطين ، ومعرفته بجغرافية فلسطين وأهلها محدودة جداً ، وهذا ما كان سبب عدم الدقة في حديثه عن هذين البطلين .

فأما البطل الثانى السيد أحمد السبع فهو من أسرة السبع المشهورة بثرائها وأملاكها الواسعة في قلقيلية ، فلم يكن في حاجة إلى العمل خارج فلسطين ، ولا ينتظر من شاب مثقف مثله أن يترك أملاكه وثروته ويتشرد جائعاً ، وقلقيلية لم يتطرق إليها خطر مباشر كما حدث في البلدان الفلسطينية الأخرى ...

وأما البطل الثالث وهو الأستاذ عبد الله الرياوى ، فقد نسبت إليه البطولة لأنه أبى أن ينسحب هارباً من قريته بروقين ليلة كارثة اللد والرملة . والذى يعرف مكان قرية بروقين وبعدها عن اللد والرملة يستغرب كيف خطر للاستاذ الرشدان أن ينسب بطولة الشاب مثقف : يريد أن يفر من مسقط رأسه . وهى تبعد مسافة تزيد على عشر ساعات سيراً على الأقدام داخل الجبال التى يعسر على الإنسان السير فيها عن اللد والرملة .

وللاستاذ الرشدان تحياتى .

راشد يحيى الشامى

« الجائزة » أو لماذا أومن بالله :

كتاب في ٣١٠ صفحات يدلل على وجود الله في أسلوب سهل شائق كأنك تقرأ في قصة . يتناول كل شبهات الملحدين التى ضلوا بها وأضلوا — فينقضها نقضاً ويدحضها دحضا .

من الموضوعات التى عالجها لإثبات وجود الله تعالى : تهيئة البيئة الصالحة للحياة ، إمداد الكائن الحى بجميع معدات الحياة ، للانسان كل ما في الأرض وهو خليفة لله فيها ، دليل الضبط والتقدير الكونى .. الخ .

ومن الشبهات التى دحضها : الصدفة ، الطبيعة ، القوة والمادة ، نظرية النشوء والارتقاء ، وهل هي ريب إن صحت . شبهة أعطى فكفر ، ضلالات المتدينين وأخطاؤهم في تعليل الأمور — وما يتعلل به الملحدون علينا بسبب ذلك للآن .

إن الملحدين قد دأبوا على تضليل الناس وتشكيكهم في عقائدهم باسم العلم وكتاب كهذا يكشف الأمر على وجهه ويرد الحق إلى نصابه . ثمنه ٢٥ قرشاً



نظرات في كتاب الأشربة

للأستاذ السيد أحمد صقر

— ٤ —

٢٤ — ص ٣٨ « وقال آخر :

بلوت النبيذيين في كل بلدة ... فليس لأصحاب النبيذ حفاظ
إذا أخذوها ثم أغنوك بالمنى ... وإن فقدوها فالوجوه غلاظ
مواعيدهم ريح لمن يعدونه ... بها قطعوا برد الشتاء وقاظوا
بطان إذا ما الليل ألقى رواقه ... وقد أخذوها فالبطون كظاظ
يراغ إذا ما كان يوم كريهة ... وأسد إذا أكل الثريد فظاظ

وعلق الأستاذ على هذه الكلمة بقوله « في ح : يراعوا »

والصواب « يراعٌ إذا ما كان يوم كريهة » جاء في لسان العرب : « اليراع : القصب ، واحدته يراعة . واليراعة ، واليراع : الجبان الذي لا عقل له ولا رأي ، مشتق من القصب ، أنشد ابن بري لكعب الأمثال :

ولا تك من أخدان كل يراعة ... هواء كسقب البان جوف مكاسره

٢٥ — يقول ابن قتيبة : « وربما بلغت جناية الكأس إلى عقب الرجل ونجله ، قال المأمون لقوم : يا نطف أخمار ، وزواع الناؤور ، وأشياء الخؤولة » .

وعلق الأستاذ على ذلك بقوله : « في الأصل وزراع الصؤور والذي أثبتناه رواية ح »

والصواب : « ... وزرائع الناؤورة »

٢٦ — ص ٣٨ « وقال مسلم بن قتيبة : إن آل فلان أعلاج أوباش لئام قدر ، شرابون ما نقع . ثم هذا يعد في نفسه نطفة خمار في رحم صناجة »

وقد علق الأستاذ على ذلك بقوله « في الأصل بأنقع » ولعل الصواب ما اخترناه » وقد أخطأ الأستاذ في تغييره العبارة عن أصلها ، ولم يفطن إلى أن « شرابون بأنقع » تعبير فصيح ، ولم يعرف أنه مثل عربي مشهور . جاء في لسان العرب : « ومن أمثال العرب : إنه لشرّاب بأنقع ، وورد أيضاً في حديث الحجاج : إنكم يا أهل العراق شرابون على بأنقع . قال ابن الأثير : يضرب للرجل الذي جرّب الأمور ومارسها ، وقيل للذي يعاود الأمور المكروهة ، أراد أنهم يجترئون عليه ويتناكرون . وقال ابن سيده : هو مثل يضرب للانسان إذا كان معتاداً لفعل الخير والشر » .

وصواب عبارة مسلم بن قتيبة : « .. شرابون بأنقع ، ثم هذا يَعُدُّ في نفسه نطفة خمار ... » .

٢٧ — ص ٣٩ يقول ابن قتيبة : « وربما بلغت جناية الكأس زوال النعمة ، وسقوط المرتبة ، وتلف النفس . فإن الرجل ربما استخلصه السلطان لنادمه ، وأدخله موضع أنسه فيزين له الكأس غمز النية » .

والصواب : « فتزين له الكأس » لأن الكأس مؤنثة . ومثل ذلك ما جاء في ص ٤١ « ومن شربة النبيذ الشطار والخلعاء والمجان ، فحملهم الكأس على المجون » والصواب : « تحملهم الكأس على المجون » .

٢٨ — ص ٣٩ « وقد كان عمرو بن هند استخلص طرفة ابن العبد لندامته ، فبينا هو يوماً معه يشرب أشرفت أخته عليهما فرأى طرفة ظلها في الجام فقال :

ألا أيها الملك الـ (م) ذي يبرق شنفاه
ولولا الملك القاعد قد ألثمني فاه »

والصواب : « استخلص طرفة بن العبد لِندامه » أي منادمته .

وقد شرح الأستاذ كلمة الشنف بقوله : « الشنف بفتح الشين أعلى القرط » !!!

ولما كنت لا أعرف أن لأجزاء القرط أسماء خاصة بها فقد سألت صديق الراوية الأستاذ محمود محمد شاكر عما قاله الأستاذ فقال : « هذا كلام لا معنى له ، وكل ما قاله اللغويون أن الشنف هو القرط الذي يلبس في أعلى الأذن ، والرعثة : هو الذي يلبس

في أسفل الأذن واعل صاحبك قرأ ما جاء في القاموس واللسان والصحاح من قولهم : الشنف القرط الأعلى ، فلم يدرك ما يريدون وصحح لهؤلاء العلماء الأجلاء هذا الخطأ ، فجعل القرط أعلى وأسفل على ما يتوهم ، وأبى إلا أن يكون الصواب أعلى القرط » .

٢٩ — ص ٤٨ « واحتجوا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل مسكر خمر ، وكل مسكر حرام ، وما أسكر الفرق منه فملء الكف منه حرام . فإن هذا منسوخ ، نسخ بشربه الصلب يوم حجة الوداع » .

وعلق الأستاذ على ذلك بقوله : « في النهاية لابن الأثير : في حديث أبي عبيدة : تمر ذخيرة مصلبة أي صلبة ، وتمر المدينة صلب . وقد يقال رطب مصلب بكسر اللام أي يابس شديد »

فيكون معنى كلام ابن قتيبة بناء على شرح الأستاذ « فإن هذا منسوخ ، نسخ بشربه التمر » !

ولو رجع الأستاذ إلى صفحة ٢٠ من هذا الكتاب لوجد ابن قتيبة يقول : « وأما النبيذ فاختلفوا في معناه فقال قوم : هو ماء الزبيب وماء التمر من قبل أن يغليا ، فإذا اشتدّ ذلك وصلب فهو خمر » . وجاء في صفحة ٢٢ « حدثني أصحاب أنس عنه أنه كان يشرب النبيذ الصلب الذي يكون في الخوابي » وفي ص ٢٩ « ... وبأن عمر كان يشرب على طعامه الصلب ويقول : يقطع هذا اللحم في بطوننا » .

ويمنعني احترامي للأستاذ محمد كرد علي من أن أعقب على شرحه هذا بحرف واحد —

٣٠ — ص ٤٨ « وبأن ابن مسعود قال : شهدت التحريم وشهدت التحليل وغبتم ، وبأنه كان يشرب الصلب من النبيذ الجر حتى كثرت الروايات عنه ... »

والصواب : « كان يشرب الصلب من نبيذ الجر ... »

٣١ — ص ٤٨ « ... من عبد الملك بن أخي القعقاع بن ثور عن ابن عمر أنه قال : كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فأتى بقدح فيه شراب فقربه إلى فيه ثم رده ، فقال بعض جلسائه : أحرام هو يارسول الله ؟ فقال : ردوه فردوه ، ثم دعا بماء فصبه عليه ثم شرب وقال أنظروا هذه الأشربة إذا اغتلمت عليكم فاقطعوا متونها بالماء » .

وقد علق الأستاذ على ذلك بقوله : « في قول عمر رضي الله عنه إذا اغتلمت عليكم هذه الأشربة فاكسروها بالماء قال أبو العباس : يقول : إذا جاوزت حدها الذي لا يسكر إلى حدها الذي يسكر »

أخطأ الأستاذ في فهم النص السابق وحسب أن عمر بن الخطاب هو الذي قال : إذا اغتلمت عليكم هذه الأشربة فاكسروها بالماء . ولست أدري كيف أقحم الأستاذ عمر بن الخطاب هنا وليس في النص ما يشير إليه ؟ ولعله توهم أن ابن عمر روى ذلك عن أبيه أو لعله يقصد أن ابن عمر هو الذي قال هذه الكلمة . وسواء علينا أتوهم الأستاذ ذلك أم قصد هذا فإنه مخطىء لأن قائل هذه العبارة — حسب تلك الرواية هو النبي صلى الله عليه وسلم « .. فقال بعض جلسائه أحرام هو يارسول الله ؟ فقال ردوه فردوه ، ثم دعا بماء فصبه عليه ثم شرب وقال : أنظروا هذه الأشربة إذا اغتلمت عليكم فاقطعوا متونها بالماء »

وهذا حديث مكذوب على النبي ، وسنده يحمل في أطوائه دليل وضعه « عن عبد الملك ابن أخي القعقاع بن ثور عن ابن عمر أنه قال كنا عند النبي الخ »

جاء في خلاصة تذهيب الكمال ص ٢٠٨ « عبد الملك بن نافع أو ابن القعقاع عن ابن عمر . قال أبو حاتم لا يكتب حديثه » على أن في الكلام تحريفاً لم يتبينه الأستاذ وهو « القعقاع بن ثور » والصواب : « القعقاع بن شور » بالشين لا بالثاء ، قال ابن قتيبة في كتاب عيون الأخبار ١ — ٣٠٦، ٣٠٧ « كان القعقاع بن شور إذا جالسه رجل فعرفه بالقصد إليه جعل له نصيباً في ماله وأعانه على عدوه ، وشفع له في حاجته وغدا إليه بعد المجالسة شاكراً . وقسم معاوية يوماً آنية فضة ودفع إلى القعقاع حظه منها فآثر به القعقاع أقرب القوم إليه فقال :

وكنت جليس قعقاع بن شور ولا يشقى بقعقاع جليس
ضحوك السن إن نطقوا بخير وعند الشر مطراق عبوس

راجع القاموس وتاج العروس في مادتي « شور وقعقع »

ولسان الميزان ٤ — ٤٧٤ والبيان والتبين ٣ — ٢٠٣ ومحاضرات الأدباء ١ — ٣٣٠ وثمار القلوب ص ١٠٠

والتاريخ الكبير للبخارى ٤ — ١٨٨ من القسم الأول ، وتهذيب التهذيب ٦ — ٤٣٧

٣٢ — ص ٤٧ « ... عن ابن جرير ، عن عطاء أن عمر وقف على السقاية فوضع يده على بطنه فقال : هل من شراب ؟ فانى أجد فى بطنى مغزاً ، فأتى بشربة من السقاية فشربها ... » وعلق الأستاذ على ذلك بقوله « فى البغدادية : عن أبى جريج »

والصواب : « عن ابن جريج عن عطاء ... » وابن جريج كما فى المعارف للمؤلف ص ٢١٤ وخلاصة تذهيب الكمال ص ٢٢٥ هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الأموى المكى ، قال ابن المدينى : لم يكن فى الأرض أحد أعلم بعطاء من ابن جريج . توفى سنة خمسين ومائة . وكانت وفاة عطاء بن أبى رباح القرشى فى سنة ١١٤ هـ كما فى تهذيب التهذيب أوفى سنة ١١٥ كما ذكر ابن قتيبة فى المعارف ص ١٩٦

« يتبع »

السيد أحمد صقر

المدرس فى الليسيه بمصر الجديدة

تصويب :

وقع فى الكلمة المنشورة فى العدد الماضى تحريف كثير نذكر بعضه مصوباً فيما يلى :

ص ٩٦١ س ١٣ من العمود الأول « والذى حده عمرو فى مصر سراً وأعاد عليه عمر بن الخطاب الحد هو عبيد الله ابن عمر بن الخطاب ... »

س ١٠ من العمود الثانى « خيفل الكياس »

ص ٩٦٢ س ٢٥ من العمود الأول « وجبير ابن أعين »

س ٢٠ من العمود الثانى « بيامه بيطون ما سألوا »

ص ٩٦٣ س ١ « وهم يقولون »

س ٢ « على هذا لبأس شديد »

مطبعة الرسالة